اتجاهات حديثة فى أدب الأطفال

دكتور
سعد أبو الرضا

الطبعة الثانية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
حقوق الطبع والنشر محفوظة

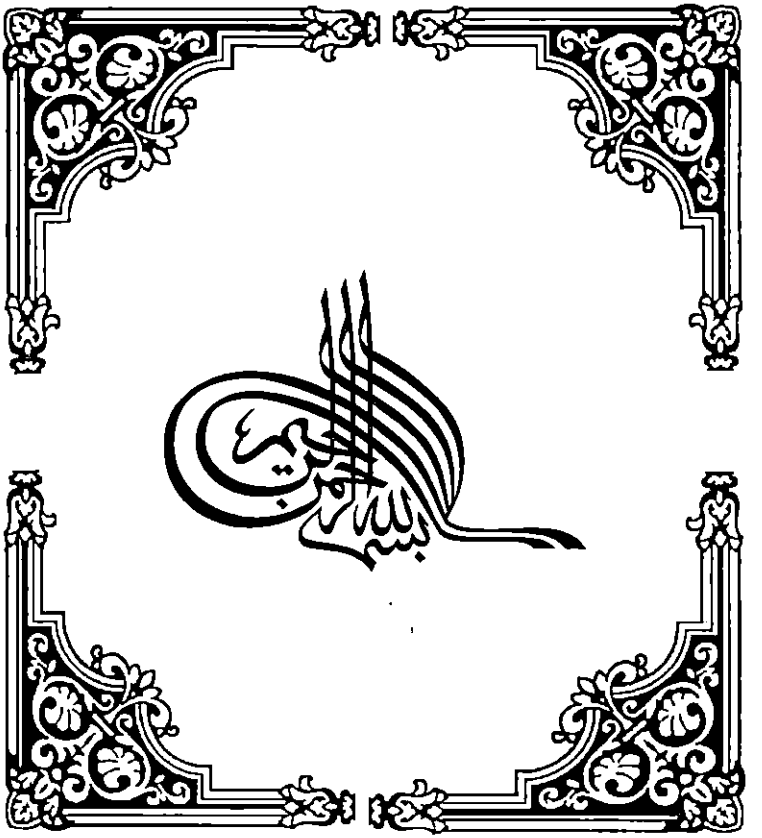
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كلما اكتشف الإنسان جديدا نافعا في مجـالات العلـوم والمعارف الإنسانية ، يصبح من واجب المهتمين بالطفل وأدبـه أن يواكبوا هذا الجديد ، من أجل النهوض بمختلف جوانب حياة الطفل رجل الغد وأمل المستقبل ، فيتحرى كتاب أدبـه شـعرا وقصة وتمثيلية ، وغير ذلك من الفنون ، أن يصلوه بهذا الجديد ليتكيف معه ويصبح قادرا على مواجهة عالمه في اليوم والغد ، وأعتقد أن أدب الطفل قادر على المساهمة في معاونته على هذا التكيف والتلاؤم مع كل جديد نافع ، وذلك بتشكيل النص الأدبي التشكيل الخاص الذي يعين الطفل على هذه المواجهة الحضارية مهما كان مستواها ، طالما استطاع كتاب أدب الطفل أن يأخذوا بيده وعقله وذوقه إليهم وما أكثر المستجدات ، وما أعظم ما يناط بهؤلاء الكتاب من مهام جسام .

وتحاول هذه الدراسات أن تلمس بعض جوانـب هـذه القضية ، فكرة وأسلوبا ، ووسيلة وغاية خلال الإشارة إلى بعض الاتجاهات الجديدة في هذا المجال

من ثم يبدأ الفصل الأول بقسميه النظري والتطبيقي فـي معالجة فكرة "أدب الأطفال التنموي"(*) ، الذي يهتم بتنمية وصقل مواهب الطفل واستعداداته ، وتهيئته للمهام المستقبلية المنوطة به

في الحياة ، وذلك يتصل بما يسمى "علم المستقبل" وقد عرضت فيه مجموعة "قصص من التاريخ الإسلامي" للشيخ أبي الحسن الندوي ، ومجموعة قصص "ذكاء الصحابة " التي أصدرتها هيئه الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ضمن مشروعها الإعلامي "أطفالنا" ، كما ختمت هذا الفصل الأول بتحليل لمسرحية "النهر" لسليمان العيسى وهذه النماذج كلها توضح فكرة أدب الأطفال التنموي وهو ذلك العنوان الذي يحمله هذا الفصل الأول .

أما الفصل الثاني فيتناول "الخيال في أدب الأطفال" وهو يبحث في كيفية تكوين الصورة في أدب الأطفال ، وعناصرها وحسن تلقي الطفل لهذا الأدب وتأثير الصورة في الطفل نفسه معتقدا وسلوكا ولغة وتناغما مع الحياة من حوله .

ويتناول الفصل الثالث "التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي" ، كما يتناول هذا الفصل بالتحليل إحدى مسرحيات الأطفال كنموذج يوضح هذه الرؤية.

ويتحرى الفصل الرابع أثر الدراسات النفسية للطفل فيما يقدم له من قصص ، وأدب بصفة عامة ، كما اختتمته ببعض المقترحات والتوصيات بشأن أثر التربية الإسلامية في النص الأدبي الذي يُقدّم له: قصة وتمثيلية ومنظومة . وهذا الفصل

خلاصة حوارات ومناقشات تمت على صفحات بعض المجلات والصحف العربية في مصر والسعودية والمغرب والأردن .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

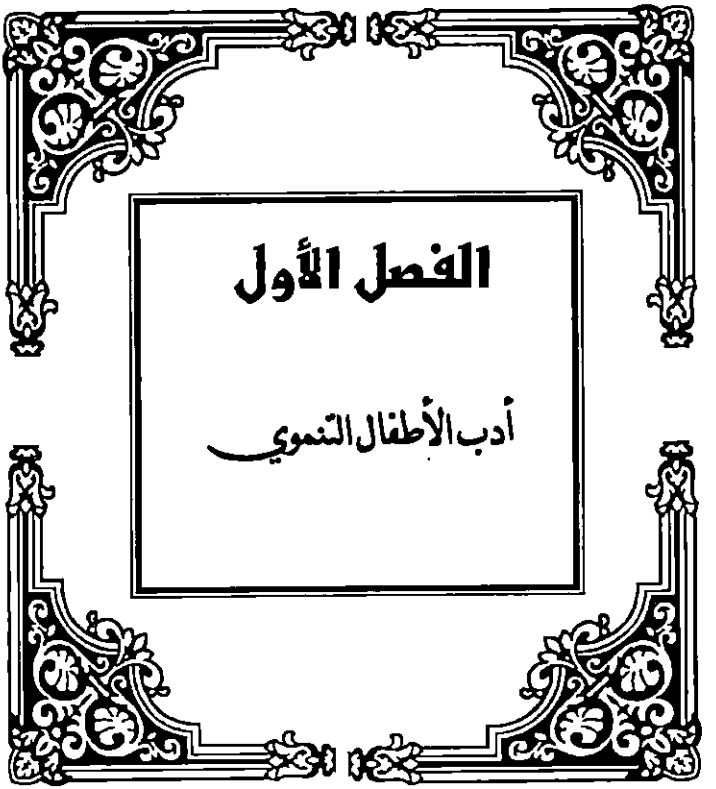
الفصل الأول
أدب الأطفال التنموي

مدخل:

يتمتع الطفل باهتمام الدين الإسلامي به اهتماما شديدا ، يمتد من قبل ميلاده ، إلى فترة حمل الأم به ، ثم بعد ميلاده ، من هنا فقد وضع من التوصيات والشروط ما يضمن له تنشئة صالحة سوية ، وذلك لما يناط بهذا الطفل من مهام في بناء أمته وتقدمها ، حاضرا ومستقبلا .

ولا شك أن العناية بثقافة الأطفال وتنميتها إنما هي استجابة لهذه التوصيات والشروط التي وضعها الإسلام لضمان النشأة الصالحة السوية لهذا الطفل .

وأدب الطفل – بعد مبادئ الدين – من أهم مكونات هذه الثقافة ووسائطها ، بل قد يكون هذا الأدب من الوسائل المهمة في التربية لهؤلاء الأطفال في الوقت نفسه عندما تصبح القيمة الإسلامية جوهر هذا الأدب في تشكيل فنونه المختلفة .

ويعد الاهتمام بأدب الطفل من أهم متغيرات حياتنا اليوم ، كما أصبح هذا الاهتمام مقياسا حضاريا لمدى ما يوليه شعب من الشعوب لهذا الأدب من عناية ورعاية .

ولقد تعددت المؤسسات الحكومية والأهلية ، العربية والإسلامية والأجنبية التي تهتم بأمر الطفل ، وتعتني بأدبه كمشروع "القراءة للجميع" الذي تشرف عليه السيدة سوزان

مبارك في مصر ، وكقسم الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سواء بإصدار قصص الأطفال أو الكتيبات التي تتابع بالتقويم والنقد ما يصدر من مؤلفات لهذا المستوى من أبنائنا .

بل إن إنشاء كليات رياض الأطفال ، ومراكز رعاية الطفل الثقافية والفنية لظاهرة تدعم هذا الاتجاه العالمي في رعاية الأطفال وأدبهم ، وليس عقد النادي الأدبي بأبها لمسابقة أدب الطفل إلا لونا من ألوان الاهتمام بهذا الأدب ، رعاية للأطفال ، وإسهاما في التشكيل السوي الصالح لهم .

وبرغم تعدد كتاب هذا اللون من الأدب في العالم العربي والإسلامي ، فما يزال ما يصدر من كتب للطفل بصفة عامة في العالم العربي قليلا ، بحيث لا يمكن أن يقارن بما يصدر في بلد كأمريكا ، التي بلغ ما أصدرته من كتب لأطفالها مائة ألف كتاب سنة ١٩٨٣م ، مثلا ، في مقابل ما يقرب من أربعة آلاف كتاب في العالم العربي ، وعدد الأطفال لديهم لا يزيد كثيرا من عددهم في الوطن العربي ، وعدد النسخ المطبوعة لديهم أضعاف أضعاف ما عندنا ، وهم بذلك يهيئون أطفالهم للتفوق الدائم على العالم . لأن الكتب من أهم مصادر

التنمية الثقافية ، التي هي أساس التقدم ، والتحرر من الظلمة إلى النور .(**)

من هنا يتضح لنا النقص الشديد فيما يحتاج إليه أطفالنا في هذا المجال كما وكيفا وحبذا لو جعلنا مناط اهتمامنا نوعية ما نقدمه لأطفالنا من كتب ، وأن تتعدد اختصاصات من يولون ذلك الأمر اهتمامهم حسب التقسيم الإنساني للعلوم والمعارف .

ويعنيني هنا ما نقدمه لأطفالنا من أدب يسهم في تشكيل ثقافتهم وتنميتها ، لتتجلى فاعليتهم في الحاضر والمستقبل ، وبرغم أن الكتابات في هذا المجال متعددة ، فما يزال يعوزنا ما يمكن أن نسميه " أدب الطفل التنموي " ، وهو ذلك الأدب الذي يتجاوز بالقصة والمسرحية والمنظومة وغيرها من فنون أدب الطفل مهمة غرس القيم إلى تنمية الإحساس بها في نفوس الأطفال ، واستثمار وسائل الاتصال المختلفة في تحقيق غاياته التي سوف يفصلها هذا البحث إن شاء الله ، من خلال القسم التنظيري الذي أعرض فيه لأهم محاور هذا الأدب وهي : الصحوة الإسلامية ، واستثمار نتائج العلم والتكنولوجيا ، والثقافة التنموية التي تمثلها كثير من القيم الجديدة البانية ولذلك فهو يهتم

(**) انظر عبد المنعم الصاوي , الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٤م , كتب الأطفال ومجلاتهم في الدول المتقدمة . القاهرة من ٢٨ يناير – ٢ فبراير ١٩٨٤م . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٥م ص١٩, ٢٠, ٣١ ,٦٢

بحاضر الطفل ومستقبله ، وهذا ما يميزه عن غيره مما يقدم للأطفال من أدب .

من ثم تأتي النماذج الأدبية للأطفال من قصة ومسرحية في القسم الثاني التطبيقي ، والتي أعرض لها بالمعالجة والتحليل للكشف عن كيفية توظيف المحاور السابقة في هذه النماذج الأدبية للأطفال حسب مراحل سنيهم التي حددتها الدراسات النفسية والتربوية .

وربما لم يكن مصطلح " أدب الأطفال التنموي " في اعتبار كتاب هذه النماذج الأدبية التي قمت بمعالجتها وتحليلها هنا ، كشواهد على هذا الأدب ، لكن الذي لا شك فيه أن هؤلاء الكتاب ، وهم يكتبون هذه الأعمال الأدبية للأطفال ، كانوا يستهدفون من ورائها كثيرا من الغايات والأهداف ، وأنواع السلوك الراقية ، وتنمية كثير من المشاعر والأحاسيس التي يتغياها " أدب الأطفال التنموي " كما كانوا حريصين على الاهتمام بالأطفال وثقافتهم وتنميتهم ، وتهيئتهم للمهام والمسؤوليات المنوطة بهم في حاضرهم ومستقبلهم .

ولعلى بهذا البحث الذي يجمع بين التنظير والتطبيق ، والتحليل الفني للنصوص ، وإبراز الخصائص ، أكون قد حققت أمل بعض أصحاب الدراسات المستقبلية الذين دعوا إلى فكرة "

أدب الطفل التنموي " خلال بحوثهم الاجتماعية(***) كما حاولت أن أربط حياة الطفل المسلم وأدبه بأحدث المتغيرات ، واقترحت من البدائل ما يحقق لأدب هذا الطفل التنمية الثقافية المرجـوة ، والمتعة الوجدانية ، مع المحافظة على أصالتنا وكينونتنا و فـي عالم جعلته وسائل الاتصال الحديثة قرية صـغيرة ، تتجاذبهـا ثقافات لا حصر لها ، منها ما يبني ، وقد يكون كثير منها يهدم .

والله نسأل لنا ولأطفالنا العون والهداية.

(***) انظر على سبيل المثال : د. محمد عماد زكي ، تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠

القسم الأول

التنظير

* المفهوم .. ومشروع الأمة :

للطفل – وهو أول حلقة من حلقات حياة الإنسان – مكانة متميزة في رؤية الدين الإسلامي ، كما يشغل الاهتمام به مساحة واضحة في مبادئه وتوجيهاته ، وحبذا لو جسدنا ذلك ليخرج هذا الأمل من حيز القوة إلى مجال الفعل ، حتى نضمن نشأة أجيال سوية قادرة على تحمل مسؤولية بناء أوطانها وأمتها في الحاضر والمستقبل ، وكما يبغيه لها المخلصون من أبنائها ، خاصة والاهتمام بالتنمية والحياة المستقبلية أصبح هما شاغلا لكثير من الشعوب ، فيما يسمى " بعلم المستقبل " ، الذي يختص بكل التصورات والتخطيط لأبعاد هذه الحياة المستقبلية ، ومن هنا يصبح " أدب الطفل التنموي " ركيزة أساسية في بناء الأطفال . ليصبحوا قادرين على بناء الأمة القوية الواعدة .

ونعني " بأدب الطفل التنموي " ذلك الأدب الذي يوظف أشكاله الفنية المختلفة من تمثيلية ، وقصة ومنظومة ، وغيرها من أجل الطفل ، فيراعى المرحلة السنية ، والاحتياجات النفسية ، لإشباع ميول هذا الطفل ، وتنمية اتجاهاته السوية ، واضعا في

اعتباره المستقبل ومتغيراته ، كما يستثمر وسائل الاتصال المختلفة للتأثير في هذا الطفل بالجوانب الفنية فيه ، فيحضه على قيم وعادات سلوكية وأخلاقية ، ترقى به وبمجتمعه ، إذ يصبح عضوا فاعلا فيه ، عندما يصل إلى المستوى الجسمي والنفسي والعقلي الذي يسمح له بذلك . من ثم فهو يعني بتقديم مفهومات بسيطة لكل القضايا والخطط والمشروعات الآنية والمستقبلية للأمة ، حتى نضع الطفل في المستوى الذي يسمح له بالاتصال بقضايا أمته والتفاعل معها ، ونهيئه لإدراك أبعاد العملية التنموية لها(١) ، دون أن نثقل تفكيره ، بما هو فوق مستواه من خطط ومشروعات وأرقام ، وفي الوقت نفسه لا نحول بينه وبين المتعة الوجدانية في هذا الأدب .

ولا تنفصل هذه الجوانب الموضوعية عن الوسائل الفنية التي تجسدها ، في هذا الأدب من لغة ملائمة لمستوى الطفل ، لا يعوزها الجمال الفني ، كما تثري محصلته اللغوية ، وتصقل تمثله الدلالي لمفرداتها ، كما لا تنقصها الأشكال الأدبية المختلفة التي تجتذب ذوق الطفل ، وتنمي حسه الجمالي .

" وإذا كان الإبداع بعامة عنصرا من عناصر الثقافة ومكوناتها ، فالأدب في الوقت نفسه تجسيد لهذه الثقافة بواسطة اللغة ، ولذلك فإن فنون الأدب المختلفة تحمل مضمونات مجسدة

فنيا "(٢) وسوف نشير إلى كثير من خصائص اللغة التي يوظفها أدب الطفل التنموي فيما سيأتي إن شاء الله .(****)

ولا شك أن ثقافة الطفل دعامة أساسية في تكوين الأجيال ، فإذا صلحت استقامت حياتهم ، وحققت الغايات المنوطة بهـا ، ولن تصلح هذه الثقافة إلا إذا اعتمدت على أساس متين من الدين الإسلامي في كل ما يقدم لهذا الطفل ، لتتحقق النشأة الـصالحة التي نرغب فيها ونرجوها لتلك الأجيال إن شاء الله ، كما تؤدي دورها مستقبلا في انتشار هذا الدين ، والحفاظ عليه .

ولعل إشباع الاهتمامات العقدية في مراحل حيـاة الطفـل الثلاثة ، المبكرة والمتوسطة والمتأخرة ، تكون في مقدمـة مـا نحرص عليه في نشأة هذا الطفل ، وهنا سوف نجد أدب الطفـل بفنونه المختلفة ، مسرحية وقصة ومنظومة وغيرها مـن أهـم الوسائل التي تشكل الوسائط التي من خلالها يـتم تزويـده بمـا نبتغيه له من عقائد وقيم تبنيه ، وتسهم في نشأته نشأة صالحة و وتهيئه للرسالة المنوطة به مستقبلا .

فعلاقته بالله سبحانه وتعالى يجب أن تقوم علـى الحـب ، والولاء والطاعة خاصة في بداية مرحلة الطفولة المتوسطة من (٦ : ٩ سنوات) عندما يعلم أن خلق الله للإنسان ورعايته لـه ، يقتضيه أن يتوجه له سبحانه وتعالى بالعبادة والشكر والطاعة ،

(****) انظر الصفحات : ٤١، ٤٢، ٥٦، ٦٨، ٧٨، ٨٠ من هذا البحث .

لقاء هذا الخلق ، وتلك الرعاية ، وهنا يمكن أن تنجح الأشكال الأدبية الخاصة بالطفل في دعم وتثبيت هذا التوجه ، ولا نتجاوز الحب والولاء إلى شئ من الشدة ، إلا في نهاية هذه المرحلة وبداية مرحلة الطفولة المتأخرة ، من (١٠ : ١٢ سنة) ، فحديث رسول الله ﷺ خير هاد هنا إلى السبيل القويم ، وهو ينصح بتربية الأطفال لأداء الصلاة " مروهم بها لسبع واضربوهم عليها لعشر " . والضرب هنا توجيهي تعليمي تربوي ، وليس قسوة أو شدة مثبطة معوقة .

ويمكن أن نقيس على ذلك ، الشعائر والأخلاق التي يكون في استطاعة الطفل الامتثال لها ، وأداؤها ، كالصوم ، والصدق ، والإخلاص ، والأمانة وغيرها ، خاصة إذا وجد من حوله القدوة الصالحة في البيت والمدرسة ، وقدمت له وسائل الإعلام والاتصال ما يدعم هذا التوجه .

ويرتبط بذلك مواجهة مشكلات الطفل الحياتية التي يعايشها ، كعلاقته بالآخرين بدءا من والديه وإخوته ، ثم مدرسته ، ومجتمعه الكبير ، حتى نصل إلى علاقته بأمته والعالم من حوله .

وإن مشروعا تتبناه الأمة في هذا المجال اعتمادا على الأسس السابقة ومثلها لكفيل بتحقيق كثير من الغايات التي نبتغيها ، على أن يكون " أدب الطفل التنموي " بفنونه المختلفة الركيزة

الثقافية لتجسيد خطوات وإجراءات هذا المشروع ، فيجد من التمثيلية في المدرسة ، والإذاعة المرئية والمسموعة ، ما يحقق له علاقة سوية بوالديه وأسرته ومدرسته ومجتمعه وأمته ، ومعلمه ، بحيث يصبح فاعلا ، فتناقش مثل هذه التمثيليات كثيرا من القيم التي تثبت في نفسه احترامه للكبير ، وإخلاصه في عمله ، وحبه لأمته ، وتمسكه بدينه ولغته وحرصه على وقته ، وبناء وطنه والمساهمة في مشروعاته وتقدمه في الحاضر والمستقبل ، وإن توظيف سيرة الرسول ﷺ وأخلاق صحابته رضوان الله عليهم ، وسلوك أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام في قصص يتناسب ومراحل سني أطفالنا ، ليثبت في نفوسهم وعقولهم ووجدانهم التمسك بالحق والثبات على المبدأ ، والإخلاص في العمل ، وما أحوجنا لهذه الصفات ، وتلك الأخلاق في بناء أجيال تعتمد عليها الأمة لتحقيق ذاتها في عالم تعوزه مثل هذه الصفات ، وتنقصه تلك الأخلاق لترقي روحه ، ويستقيم بناؤه ، حتى نحقق تصور القرآن الكريم ، " كنتم خير أمة أخرجت للناس " .

ولعل في تأليف منظومات شعرية تحبب إليهم العمل وإتقانه ، والنظام والالتزام به ، والإسهام في مشروعات الوطن والحفاظ عليه ، وغير ذلك من القيم التي سوف نشير إليها والتي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء مجتمعاتنا بناء سويا ، ما يسهم في

تشكيلهم كلبنات صالحة في أمة يمكن أن ترود العالم نحو الخير والحق والبناء ، بفضل دينها وما يدعو إليه من قيم ومبادئ .

وهنا ونحن نولي ثوابتنا هذا الاهتمام الواجب ، علينا أن نستفيد من المتغيرات بما يسمح لنا بإثراء هذا " المشروع " فيما يعوزنا الاستفادة منه ، سواء بالإفادة المباشرة ، أو البحث عن بدائل تتوافق مع ديننا ، وتقاليدنا وأعرافنا ، كما سوف نشير إلى شئ من ذلك فيما يأتي ، كذلك يجب أن يراعى ما أشرنا إليه من أسس مقترحة فيما تقدمه للأطفال وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة مسموعة و ومرئية ، كأفلام الكرتون والتمثيليات وغير ذلك من برامج الأطفال ، كذلك ما تقدمه الصحف والمجلات المختصة بالأطفال من مواد إعلامية تثقيفية وتوجيهية .

وإن نظامنا في مدارسنا وجامعاتنا لحري به أن يتغيا هذه الغايات ، وأن يحرص المسؤولون عنه ، على العمل على وضع المناهج والطرق واقتراح ورش العمل التي تسهم في تحقيق هذه الغايات لبناء الطفل المسلم ، الذي يمكن أن ننيط به ما نرجوه ونأمله في إيجاد الأمة الصالحة القوية ، التي ترعى ربها ودينها ولغتها ، وتحافظ على حياتها قوية مستقيمة ، وتسهم في تقدم العالم ونهضته .

وهكذا تتعاون الأجهزة الرسمية في الوزارات المختلفة ، والمؤسسات التي تختص بتربية الطفل وتنشئته ، والأسرة ، مع

المبدعين الذين يكتبون للطفل ، فتتشكل ثقافة سليمة صالحة ، تسهم في تنشئة أجيال سوية قادرة على تحمل المسؤولية ، وأداء دورها في ترقية أمتها ، وسعادتها في الحاضر والمستقبل ، وانتشار دين الله في كل مكان ، عندما يحملون مسؤولية ذلك ، ويكونون قدوة فيما يؤمنون به(٣) .

* أهم المحاور والقضايا :

آن لأدب الطفل أن يتجاوز تحقيق المتعة والتسلية ، ليسهم بشكل فاعل في بناء هذا الطفل بناء سليما ، وتهيئة رجل الغد للمهام المنوطة به ، تهيئة حضارية سوية ، خاصة ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين ، بما يرهص به من متغيرات كبيرة وخطيرة ، تستوجب الاستنفار لكل الأجهزة والمؤسسات المعنية بأمر الطفولة ، حتى تضع خططها وبرامجها لهذا التشكيل الخاص للطفولة ، كي تواجه هذه المتغيرات بنجاح وفاعلية ، ومن ثم يتحقق ما ننيطه برجال الغد من مهام ومسؤوليات .

والتنمية الثقافية من أهم المداخل لتحقيق هذا التشكيل ، كما أن أدب الطفل في الوقت نفسه من أهم الوسائط لهذه التنمية الثقافية المرجوة ، وهي فرع من الثقافة بصفة عامة ، حتى ليمكن أن نسميه " أدب الطفل التنموي " ، كما أشرنا سابقا ..

فما هي أهم محاور هذه التنمية الثقافية التي يمكن أن يتمثلها أدب الطفل التنموي ويعمل على تجسيدها وتحقيقها فنيا ؟ وإذا كانت هناك متغيرات نرفضها فما هي البدائل التي يمكن أن تنسجم مع ديننا ، وأعرافنا وتقاليدنا ، وتسهم في بناء أطفالنا ، وتحقيق ما نبتغيه منهم ، وما نرجوه لهم ؟

يمكن أن يكون من أهم هذه المحاور : الصحوة الإسلامية الشاملة ، والعناية بالعلم والتكنولوجيا ، والثقافة التنموية ، وقد تكون هذه المحاور : ليست بالجديدة ، ولكن الجديد هو توظيفها لتحقيق غايات أدب الطفل التنموي .

* أولا : الصحوة الإسلامية :

بالنسبة للصحوة الإسلامية ، فإن مناقشة أهم معالمها وظواهرها ، ومستجداتها ، وكيف يتصل أدب الطفل بها ، ويجسدها قد يكشف عن بعض جوانب هذا المحور المهم .

لقد أصبح " علم المستقبل " من أهم العلوم التي تهتم بها الشعوب المتقدمة لمواجهة تحديات الحياة والتصدي لمتغيرات القرن الحادي والعشرين ، وهو القرن الذي بدأ ، ولذلك فنحن بحاجة إلى أدب للطفل يمكن أن يحقق التربية المستقبلية الثقافية القادرة على تنمية قدرات وطاقات نوعية ذاتية ، تكافئ وتغطي حجم ما يعانيه حاضرنا من نقص ، حتى نهيئ أطفالنا لمواجهة

تحديات المستقبل ، وصناعة هذا المستقبل الذي نريده ، وبناء الثقافة الذاتية للطفل ، وتعميق الأصالة الحضارية في وجدانه ، وتحصينه من الداخل في وجه الثقافات الوافدة(٤) التي تحاول أن تلفحنا ، وتقتلعنا من جذورنا ، لتحقق تبعيتنا لها ، عندما نفقد شعورنا بأصالتنا وذاتيتنا ، من هنا كانت الصحوة الإسلامية من أهم عوامل الإحياء والبعث وتأكيد ذاتيتنا وجلاء أصالتنا ، ومن أهم دعائم هذه الصحوة الإسلامية ، تمثل القرآن الكريم ، والاستفادة من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وسيرته الشريفة ، وإحياء تراثنا إحياء يجعل الماضي بفضائله دافعا للحاضر ، واستثمار إيجابياته ، وترك سلبياته ، لصناعة المستقبل الذي يسعى المسلمون خلاله إلى فتح عهد جديد في كافة المستويات الإنسانية ، انطلاقا من المفهومات والتصورات السوية المعتدلة(٥) التي يحث عليها الدين الإسلامي ، والتي حقق بها سلفنا الصالح السبق والهيبة والفاعلية ، وبذلك تجسد هذه الصحوة سلوك الإنسان ونشاطاته الفكرية والاجتماعية والأدبية .

وعلى مستوى الكبار فنحن بحاجة إلى أن نعرفهم بالمخاطر التي تحيط بالإسلام للكيد له ، والتآمر ضده ، حتى نرشد هذه الصحوة ، وتعم جميع المجتمعات ، ولتقوم على قيم الإسلام من حرية وعدالة ، وصيانة للإنسان في عقيدته وعرضه ودمه

ومآله(٦) ، والحرص على هذه القيم والمبادئ وأمثالها مما يكشف عن عظمة الإسلام ، وأهميّة ما يدعوّ إليه .

وبالنسبة لأطفالنا ، يمكن أن يقدم لهم أدب الطفل التنموي بأشكاله المختلفة ، – من قصة ومسرحية ومنظومة – نماذج للشخصيات الإسلامية التي تتمسك بالدين الإسلامي ، ويتجلى في سلوكها الثبات على المبدأ ، والحرص على كشف زيف المغالطين ، والمنافقين ، وإبراز الحقيقة التي يتغافل هؤلاء المعاندون عنها .

والقرآن الكريم حافل بكثير من النماذج التي يمكن أن توظف مواقفها في الكشف عن ذلك ، كسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي جاء بالإسلام لهداية كل البش ، وبرغم أن هناك كثيرا من قصص الأنبياء للأطفال ، لكنها تعتمد تاريخ الشخصية وتسلسله الزمني ، بينما البديل الذي يمكن أن يحقق ما نبتغيه هنا ، هو أن يجلي كاتب أدب الطفل فنيا موقف التصدي للمخالفين ، ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والصبر على جدالهم وعنادهم ، والتواضع في مخاطبتهم ، والبساطة في إقناعهم ، واليقظة لحيلهم ، وانعكاسات ذلك على الآخرين من المخالفين والمعاندين ، الظاهرين وغير

الظاهرين ، حتى يتجلى الحق ويسود ، ويتضح الخير وينتصر ، ويدخل هؤلاء المخالفون في دين الله .

وكذلك يمكن أن يكشف أدب الأطفال التنموي عن هذه الصحوة ، ويدعمها في نفوس أطفالنا وعقولهم ، وينمي إحساسهم بها ، عندما يوظف أفعال الأسوياء من النماذج الإنسانية الأخرى التي يضرب بها القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإسلامي المثل والعبرة ، ويجد فيها الطفل القدوة الصالحة ، كنموذج الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الحق ، أو بر البنوة ، وطاعة الأبناء لآبائهم ، أو الأمانة ، أو التعاون أو الشورى ، وغير ذلك ، كما يجد أطفالنا في هذا الأدب الفكرة العقدية التي يمكنهم استيعابها ، وفي عرضنا " لقصص من التاريخ الإسلامي " للشيخ أبي الحسن الندوي ما يمكن أن يكشف عن بعض هذه الجوانب ، وذلك فيما سيأتي إن شاء الله(٧) .

وهنا سوف نجد ملمحا متميزا في قصص الأطفال يناسب تعقد الحياة ، وزخم المعلومات الذي أصبح طابع عصرنا ، يتضح ذلك في كثير من قصص الأطفال التي تتخذ المعاني المجردة عنوانات لها ، كالشجاعة ، والصدق ، والذكاء وغيرها ، وإن كان تجسيد القصة لها سوف يتم من خلال إعادة تشكيل مواقف السيرة النبوية الكريمة ، أو أحداث التاريخ الإسلامي ، وصياغتها صياغة قصصية تناسب مراحل نمو الطفل المختلفة ،

وتحقق الغايات المنوطة بتنمية مواهب أطفالنا ، وتهيئتهم لمواجهة واقعهم ومتغيراته ، ومن ثم إعدادهم للمستقبل وتطلعاتنا إليه ، كما في سلسلة " أطفالنا " التي يصدرها المشروع الإعلامي لهيئة الإغاثة العالمية ، وسوف نشير إليها أيضا فيما سيأتي إن شاء الله(٨) .

ويستطيع أدب الأطفال التنموي أن يسهم في ربط أطفالنا بجذورهم ، وزرع بذور الأصالة والمناعة الحضارية فيهم وتحصينهم ضد كل أشكال الغزو الثقافي ، وبذلك نحميهم من الذوبان مستقبلا في الحضارات الغازية التي لا تنسجم مع قيمنا الذاتية الخاصة ، من ثم يصبح البديل أن نعود إلى تراثنا ونوظفه في أدب الطفل ، حتى نتمكن من تقديم نماذج من القدوة الصالحة في مختلف المجالات : العلوم والمعارف والآداب ، حيث يفتقد أطفالنا القدوة . وهم يمثلون ما يقرب من نصف مجتمعاتنا ، وهم بحاجة إلى أن نوظف لهم تراثنا في أدبهم ، فهو التراث الذي يحمل ملامحنا الحضارية ويكشف عن هويتنا ، وإذا كان الغرب قد حاول أن يستفيد منه في أدب الأطفال لديهم ، كما في توظيف ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة التي وظفها لافونتين وجريم(٩) ، فأطفالنا وأدبهم أولى بذلك ، وإذا كان هناك بعض المحاولات مثل محاولات محمد الهراوي وكامل الكيلاني وجبران النحاس ، وأحمد شوقي ، ووصفي آل وصفي في هذا المجال ، لكنها قليلة

، وبحاجة إلى أن تدعمها توظيفات أخرى في أدب الطفل ، لإثرائه فنيا وموضوعيا ، والاعتماد على الأصل العربي ، وليس على محاولات لافونتين فحسب .

* التوازن بين التراث والمعاصرة :

ونحن نطرح تراثنا يجب أن يكون طرحا متوازيا مع المعاصرة ، بحيث ننأى عن التعصب والانغلاق ، فيدرك أطفالنا موضوعية أجدادنا في تعاملهم مع تراث وحضارات الشعوب الأخرى ، إذ لم تمنعهم ثقتهم بأنفسهم من الاستفادة من اليونان والفرس والهنود وكل الحضارات التي احتكوا بها .

وكذلك في الوقت نفسه يجب أن نبرز لهم ما تميزت به الحضارة العربية الإسلامية من العالمية والشمول والاتساع فجمعت بين الجوانب المادية والروحية والأخلاقية والعلمية التكنولوجية ، مما كشف عن تفردها وقوتها ، بينما حضارة الغرب حضارة مادية عرجاء لاعتمادها على العلم والمادة ، وتجردها من القيم الروحية ، التي نحن في أمس الحاجة إليها لمواجهة إمكانات السيطرة والتجاوز التي يوجدها الإنسان لنفسه(١٠) .

- وتستطيع قصة تحتك فيها شخصية عربية مسلمة بأخرى أجنبية في مواجهة أزمة من الأزمات ، أو

حادثة من الحوادث ، فيكشف سلوك كل منهما إزاءها عن طبيعة تكوينه الحضاري ، وذلك بصورة مبسطة يمكن أن يستوعبها الطفل .

- بل قد تكشف مسرحية تعرض لشخصية مسلمة في البلاد الأجنبية عن رقي مسلكه ، وهو يتعامل مع غيره من الفقراء والمحتاجين مثلا .
- وقد يستثمر كاتب ما الاتصال بين الناس في مناسبة عيد الفطر مثلا ، حيث يتواصل الناس ، ويبرز ما يسبق هذه المناسبة من عطاء يتمثل في الزكاة وأثرها في المحتاجين وتوطيد العلاقة بين الفقير والغني .

وكذلك نحن بحاجة إلى قيم جديدة أخرى ، تسهم في تكوين البناء الأخلاقي للأجيال القادمة ، لا تقل أهمية عن الإخلاص والصدق والوفاء ، كالمحافظة على الوقت واستثمارات وقت الفراغ ، ويستطيع أدب الأطفال التنموي أن يغرس في نفوس أطفالنا هذه القيم بواسطة القصة المشوقة والتمثيلية المؤثرة ، والمنظومة الشعرية التي يسهل ترديدها وحفظها . كما يعمل على تنمية هذه القيم في نفوس الأطفال ، كلما تنوعت النماذج الأدبية ، وتعددت وسائلها الفنية .

كما يجب أن تستثير هذه النماذج الأدبية في نفس الطفل الحذر من السلبيات التي أفرزتها الثقافات الفرعية في عهود

الظلم والظلام كالطبقية والمحلية والإقليمية والطائفية والأرستقراطية والبيروقراطية والعنصرية ... وكذلك القيم والعادات الغربية التي غزتنا مع موجات الغزو الثقافي المتعاقبة كالإباحية ... ونظام الاستهلاك الذي يربطنا بعجلة النظام العالمي والاستعمار الثقافي "(١١) .

ويمكن أن نجد في بعض كتب الأطفال التي تصدر شيئا من ذلك ، لكننا بحاجة إلى تطويرها لتحقيق مزيد من أهداف تنمية الأطفال وتهيئتهم لمواجهة حاضرهم ، ومتغيرات مستقبلهم ، من هذه الكتب : قصة " نورة المغرورة " في سلسلة الكتاب الأبيض(١٢) ، وهي تعالج الغرور والطبقية بصورة مبسطة وسهلة ، كذلك " الخروف الحيران " ، في مجلة براعم الإيمان(١٣) ، وهي تعالج الإسراف وتتصل بنظام الاستهلاك بصورة ميسرة أيضا ، لكن هذه الإصدارات والسلاسل بحاجة إلى أن تتطور ، فتحدد المرحلة السنية التي تلائمها هذه الأعمال الأدبية ، وبالتالي أن تلائم بين وسائل العرض في القصص والغايات المنوطة بها ، كما أنها بحاجة إلى أن توسع من نظرتها في نظام المعالجة بصورة أبسط ، وأن تعمل على تجاوز غرس القيم إلى تنميتها في نفوس أطفالنا ، وأن يكون الجانب الفني الأدبي بصورة أكثر جلاء ، معوانا على هذه التنمية .

* ثانيا : العناية بالعلم والتكنولوجيا :

ويعنينا هنا النماذج الأدبية التي توظف العلم وتطبيقاته ، بغية إثراء الجانب الفكري لدى الأطفال ، ووصلهم بالمستحدثات العلمية ، وترقية وعيهم بها ، حتى يكونوا على مستوى عصرهم ، ومهيئين للعصر القادم إن شاء الله ، مع تحقيق عنصر المتعة الوجدانية من خلال التشكيل الفني الأدبي لهذه الجوانب العلمية والتكنولوجية .

وإذا كانت هناك محاولات في هذا المجال ، فهي قليلة جدا ، وبعضها قد تجاوزتها المتغيرات كمنظومات محمد الهراوي الشعرية في وسائل المواصلات الحديثة ، كالطائرة والقطار والترام(١٤) .

ولقد أثبتت الدراسات الببليوجرافية التي أجريت في أكثر من بلد عربي ، أن كتب وقصص الأطفال العلمية لا تشكل إلا نسبة زهيدة بين الكتب والقصص الموجهة للأطفال ، فمن بين قوائم الإنتاج الموجه للأطفال قائمة كتب الأطفال في مصر مثلا من سنة ١٩٢٨م : ١٩٧٨م وقد أعدها لمنظمة اليونيسيف الدكتور محمود الشنيطي وآخرون ، وقد صدرت في القاهرة عام ١٩٧٩م في ثلاثة مجلدات ، ويتضح في المجلد الثاني منها الذي يختص بالقصص وكتب المعلومات أن نسبة القصص العلمية إلى غيرها نسبة غير متوازنة كما يوضحها الجدول التالي(١٥) :

نوع القصص	عددها	النسب المئوية
العلمية	٥٤	%٣,٦
غير العلمية	١٥٠٠	%٩٦,٤

كما أن برامج الأطفال العلمية في التليفزيون محدودة ، وما يوجد منها فهو مترجم ومعقد ومستعار من برامج الكبار ، وما في الإذاعة لا يختلف كثيرا عن ذلك ، من هنا فنحن بحاجة إلى ما يغطي كم المعلومات الهائل المتراكم في الذاكرة الإنسانية ، والذي يتضاعف بسرعة مذهلة ، حتى يستطيع الطفل العربي والمسلم أن يتصل بحركة المعلومات ، ويلم بشئ عن كل هذا .

نحن بحاجة إلى ثقافة علمية تزرع في أطفالنا التفكير العلمي وتنميه ، وهو أبرز سمات إنسان القرن القادم ، إنها ثقافة تحضهم على الإبداع ، وتستثير فيهم الابتكار ، وتدفعهم إلى حل المشكلات ، وتدعم فيهم الملاحظة والتجريب ، كما تغرس فيهم التحليل والتفسير ، بل وتنمي فيهم كل هذه القدرات والاتجاهات والمواهب .

وإذا كانت الترجمة والاستفادة من الكتب الأجنبية من أهم مصادر كتب الأطفال العلمية ؛ الأدبية وغير الأدبية ، فلابد من ترشيد الترجمة والاقتباس والاستفادة ، بحيث ترتبط بواقعنا

وبيئتنا ، فلا نقدم لأطفالنا إلا ما نحن بحاجة إليه ، وما يمكن أن يستوعبوه ، ويسهم في ثرائهم العلمي والمعرفي .

ونظرا لأن معظم كتاب أدب الطفل قد جاءوا من حقول أدبية وإنسانية ويعوزهم العلوم والتخصص فيها ، لذلك لابد من تعاون بينهم وبين العلميين المتخصصين ، حتى يتوفر لديهم الخلفية العلمية التي تعينهم على تمثل العلوم ، والتقديم الملائم لها للطفل ، بحسن توظيفها في الأعمال الأدبية المختلفة من قصة ومسرحية ومنظومة ، ويجد الطفل المادة العلمية المبسطة والدقيقة والشيقة ، في شكل أدبي في الوقت نفسه(١٦) . وبذلك نستثمر أدب الخيال العلمي ، حتى إذا ما توثقت صلة الأطفال بالعلم والتكنولوجيا ، فيمكن أن ننمي فيهم العالم الصغير ، ورائد الفضاء الصغير ، والمخترع الصغير ، دون أن نثقل أذهانهم بالحقائق والقوانين العلمية ، وسوف يتضح ذلك في معالجتنا لقصة من قصص " مغامرات الجيل العلمية " ، التي عنيت بتنمية هذا المنحي المعرفي العلمي لدى الطفل(١٧) .

* ثالثا : الثقافة التنموية والقيم الجديدة :

في أدب الأطفال التنموي يجب أن نركز على ثقافة الطفل التنموية ، ويقصد بها " مجموعة الأفكار والاتجاهات والسلوكيات التي يجب أن ينشأ عليها ، حتى يصبح أكثر وعيا وإدراكا

لمشاكل مجتمعه ، وأقدر فعلا وإبداعا على تجاوز هذه المشاكل ، وإيجاد الحلول الإبداعية لمواجهتها ، واستثمار الظروف المتاحة لبناء مستقبل حضاري أفضل يسمح لنا بالندية الحضارية الكاملة مع الأمم الأخرى "(١٨) وسوف نجد أن كثيرا من هذه القيم قد دعا إليها ديننا الحنيف .

وما أكثر القضايا والموضوعات التي يمكن أن يستثمرها ويوظفها أدب الأطفال التنموي لمواجهة المتغيرات لتحقيق الثقافة التنموية ، وتهيئة الطفل للاستعداد لاستقبال القرن الحادي والعشرين ، منها ، مشكلة الغذاء وسوء مواجهتها ، ومن البدائل في التصدي لها ، الاهتمام بالزراعة والقيم الزراعية والفلاح ، ولذلك يجب أن تتغير صورة هذا الفلاح في أدب الطفل بحيث يصبح مناط التقدير والاحترام ، فهو عضو عامل في مجتمع يحتاج إلى جهده ، كما يجب أن نرفع من مستوى وعيه ، لنزيد من فاعليته ، وما يقدمه لنا من محاصيل ونتاج زراعي يجب أن نحيطه بالاهتمام والمحافظة وعدم الهدر أو التبذير ، ومن ثم نقدم للطفل من القصص والتمثيليات ما يغرس في نفسه هذه القيم ، وينميها لديه .

ويتصل بما سبق استثمار الصحراء ، ومقاومة التصحر الذي أصبح يهددنا في المستقبل ، من هنا يجب أن تختفي شخصية الحطاب في أدب الطفل التنموي ويصبح البديل هو حارس الغابة

الأمين الذي يحافظ على شجرها ، لأن فكرة الاحتطاب قد تترك في نفس الطفل الاستهانة بالشجرة ، وعدم الاهتمام بها ، وكذلك لا نريد لصورة المواقد القديمة التي تعتمد على الحطب أن تعود لتلتهم أشجارنا في كتب الأطفال ، دون داع .

وفي الوقت نفسه يجب أن نعلي من الصناعة القائمة على استخدام الخشب في كثير من نواحي حياتنا ، فبرغم انتشار المعادن ، لكن ما يزال للأخشاب دور مهم في هذا المجال ، فصوان ملابس الطفل ، ومكتبه ومكتبته وكرسيه وسريره ، وباب غرفته ومنزله ... ، كل ذلك يمكن أن نحصل عليه من الصناعات القائمة على الخشب ، لذلك يصبح البديل أن نرفع من وعي الطفل بحيث يدرك أهمية الشجرة ، سواء كانت للحفاظ على البيئة من التلوث ، وكونها مصدر جمال وثمر وغذاء ، أو لاستخدامها في الصناعات الخشبية ، وبذلك ننمي في نفسه الجمع بين الجانبين الجمالي والنفعي بالنسبة للشجرة ، ويدرك الطفل وجوب المحافظة عليها ، وأهمية استخدامها في الصناعة ، ولكل جانب مجاله وأهميته ، وهنا يجب دعوة الأطفال إلى التشجير ، وإبراز ذلك كمظهر من مظاهر سلوك الطفل السوي النافع ، وأتصور أن الجمع بين هذين الجانبين لإدراك مزاياهما ومعرفة ما بينهما من تعارض ، وتوجيه الطفل وجهة سوية حيالهما ، لا يمكن له إدراكه إلا في نهاية مرحلة الطفولة المتوسطة ، ومرحلة

الطفولة المتأخرة حيث يكون مهيئا نفسيا وعقليا لإدراك العلاقات ، خاصة المتخالفة منها ، لذلك حبذا لو ظهر هذا الاتجاه في الأدب الموجه للأطفال في هذا السن .

وإذا كان الوجه الآخر في مشكلة نقص الغذاء الذي يتهدد مستقبلنا هو نقص المياه ، فإن الاقتصاد في استخدامها ، والمحافظة عليها يجب أن يكون من بين القيم التي نهتم بغرسها في نفوس أطفالنا ، وتنمية هذا الإحساس لديهم بها فيما يوجه إليهم من أدب .

كما يجب أن يعمق أدب الطفل التنموي الحس الصحي والنظافة لدى أطفالنا ، فننفرهم من العادات السيئة ، ونحثهم على مكافحة الأمراض والحشرات حتى يعو أهمية مقوماتها بالوسائل المشروعة ، ونغرس في نفوسهم التنفير منها ، كما ننمي هذا الإحساس فيهم .

وإذا كانت الكلاب والقطط والفئران عماد بعض قصص الأطفال ، فإن ما عرف عنها حديثا من نقلها لكثير من الأمراض ، بالإضافة إلى موقف الشرع من نجاستها ، يدعونا إلى إعادة النظر في دور هذه الحيوانات – خاصة الأليفة منها – في أدب الطفل حتى نرشد تعاطفه معها ، ويدرك وجوب الحرص والحذر في الاختلاط بها ، والتعامل معها ، وفي الوقت نفسه لا نلغي أو نخفي أثر الكلب مثلا بالنسبة لراعي الغنم ، أو حراسة ما يحرسه

، أو وفاءه لصاحبه ، وهذا ما نعنيه بترشيد تعاطف الطفل مع بعض هذه الحيوانات ، فيدرك خطرها ، ويعي فائدتها ، ويوجه للموقف الملائم منها حسب ما تؤديه لنا من نفع أو ضرر .

والبيئة مهددة بالتلوث بمختلف أنواعه سواء كان إشعاعيا نتيجة دخول المفاعلات النووية إلى عالمنا العربي والإسلامي ، أو من الدول المجاورة ، وسواء أكان في الهواء نتيجة عادم السيارات وأدخنة المصانع ، وسواء كان في الماء نتيجة إلقاء نفايات السفن ومخلفاتها ، وسواء كان في التربة نتيجة دفع المخلفات الإشعاعية ، أو استخدام المبيدات الكيميائية بطريقة غير سوية ..

كل هذا يجب توعية أطفالنا تجاهه ، وننمي فيهم كيفية مقاومته والحذر منه . ولا شك أن اقتران هذا التحذير ، مع تنمية الإحساس فيهم ضد أنواع التلوث السابقة من خلال أدب الطفل ووسائله الفنية يمكن أن يحقق كثيرا من الغايات والأهداف التي ننيطها " بأدب الطفل التنموي " .

* أفلام الكرتون والصور المتحركة :

ويقتضينا ما سبق أن نعيد النظر فيما نقدمه لأطفالنا من أفلام الكرتون والصور المتحركة ، فهي وسيلة من وسائل تقديم أدب الطفل ، لكن للأسف معظمها أفلام أمريكية أو غربية الصنع ، قد

صممت لأطفال غير أطفالنا ، ولبيئة غير بيئتنا ، لها من العادات والتقاليد والأخلاق ما لا ينسجم مع ديننا وعاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا ، فيكفي أن نقدر مدى الخسارة ، والضياع الذي يمكن أن يصيب أطفالنا ويغرس الانحراف والفساد في نفوسهم بمتابعة مسلسل كمسلسل " (باباي) البحار القائم على الصراع بين (باباي) و (بلوتو) الذي يسعى دائما إلى اختطاف وامتلاك الحسناء الجميلة (أوليف أوبل) ، زوجة (باباي) ، ويلاحقها ويشاكسها .. " وكذلك كثير من البرامج التي تصدرها مؤسسة والت ديزني .

بل إن مسلسل " توم وجري " ليستثير في نفوس أطفالنا نوازع الشر والتآمر والمكر والحيلة أكثر مما يثير نوازع الخير والفضيلة .

وبرغم أن لدينا بعض الشركات المتخصصة في هذا المجال مثل شركة التسويق والإنتاج الإعلامي بعمان بالأردن ، وشركة الشرق الأوسط للإنتاج الإعلامي والتوزيع ، لكنهما تعتمدان على المترجمات أكثر من اعتمادهما على ما يصور بيئتنا وعاداتنا وتقاليدنا لذلك فنحن بحاجة إلى أكثر من شركة عربية إسلامية متخصصة في أفلام الكرتون والصور المتحركة ، لا تقدم لأطفالنا إلا ما يتلاءم مع بيئتنا العربية الإسلامية ، كما نوظف كثيرا من جوانب تراثنا وتاريخنا المشرقة ، الحافلة بكثير من

نماذج البطولة والنبل ، والشخصيات الفذة إنسانيا وأخلاقيا وعلميا وحضاريا ، بحيث نقدم لهؤلاء الأطفال القدوة الصالحة ، وجوانب تراثنا التي تستثير فيهم حب دينهم وأوطانهم ولغتهم ، كما تبعث الثقة في نفوسهم إزاء هذا التراث ، بحيث يجعلون حاضرهم امتدادا لماضيهم ، كما ننمي فيهم قيمة الوفاء والإخلاص وما نرجو أن نغرسه في نفوسهم من قيم جديدة أخرى(١٩) .

* الهوامش :

(١) انظر د.محمد عماد زكي تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م (ومنتدى الفكر العربي عمان) ص١٥٧ .

(٢) د.سعد أبو الرضا ، النص الأدبي للأطفال ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب البلاد العربية ط١ دار البشير عمان : الأردن ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص١٨ وكذلك انظر : هادي نعمان الهيتي ، ثقافة الأطفال ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٢٣ ، رجب ١٤٠٨هـ / مارس ١٩٨٩٨م ص١٣٣ .

(٣) انظر النص الأدبي للأطفال ، الفصل الأول .

(٤) انظر تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠ ، ص١٤٢ .

(٥) انظر محمد إقبال عروي ، جمالية الأدب الإسلامي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء ١٩٨٦م ، ص٩ .

(٦) انظر د. محمد عبد القادر حاتم ، الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م ، ص٦ .

(٧) انظر ص١٧ وما بعدها من هذا البحث .

(٨) انظر ص٢٩ وما بعدها من هذا البحث .

(٩) انظر النص الأدبي للأطفال ص٦٠، ٦٢، وكذلك انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٣ .

(١٠) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٥ .

(١١) السابق نفسه ص١٤٧ .

(١٢) انظر عفاف عبد الباري ، نوره المغرورة ، سلسلة الكتاب الأبيض ، إصدار الشركة الشرقية للمطبوعات ش.م.م ، بيروت ، لبنان .

(١٣) انظر العربي بنجلون ، مجلة براعم الإيمان السنة التاسعة العدد ٢١٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ أغسطس – سبتمبر ١٩٩٤م إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، هدية العدد ٣٤٣ من مجلة الوعي الإسلامي .

(١٤) انظر ديوان محمد الهراوي للأطفال جمع ودراسة عبد التواب يوسف ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م .

(١٥) حامد الشافعي دياب . قصص الأطفال العلمية في نصف قرن ، دراسة ببليوفترية ، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٤م ، الثقافة العلمية في كتب الأطفال ، القاهرة من ١١/٢٩ : ١٩٨٤/١٢/٢م مركز تنمية الكتاب العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ص١٥٥ .

(١٦) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٩ : ص١٥ .

(١٧) انظر عفاف عبد الباري – العقل المفقود – مغامرات الجيل العلمية ، العدد ٢٠ ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، وانظر ص٣٤ من هذه الدراسة .

(١٨) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ، ص١٥٥ .

(١٩) انظر السابق نفسه ص١٥٩ .

(٢٠) انظر د. عماد زكي ، الطفل العربي والمستقبل ، كتاب العربي (٢٣) سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي – الكويت ١٩٨٩/٤/١٥م ص١٥٤، ١٥٥ .

القسم الثاني

تحليل لنماذج من أدب الأطفال التنموي

القسم الثاني
تحليل لنماذج من أدب الأطفال التنموي

ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " لأبي الحسن الندوي

* مدخل :

القصة جنس أدبي يحقق إثراء الفكر وإمتاع الوجدان ، وهي من أجل ذلك وسيلة لتحقيق كثير من الغايات التي اختلفت باختلاف المذاهب الأدبية ، وتعد الواقعية بتوجهاتها الاجتماعية ، أكثر المذاهب توظيفا لها في التعبير عن قضايا الفرد والمجتمع ، والتبشير بالتغيير نحو الأفضل والأصلح ، من هنا فقد اصطبغت القصة الواقعية بكثير من ملامح الحياة ، واعتمدت على البيئة[١] في تشكيل بنيتها ، ودقة رسم الشخصيات فيها ، والكشف عن السلبيات ، والإرهاص بتغييرها ، وتوظيف لغة الحياة ، وربما كان التزام الحياد الدرامي في الراوي المتكلم ، من أهم السمات في القصة ، لدرجة جعلت بعض النقاد يصفون هذا الموقف بالجمود المطلق وخلوه من المشاعر[٢] .

وبرغم أن هذا المبدأ يكاد أن يكون ملمحا مميزا للقصة اليوم ، لكن المعالجة الفنية للتاريخ في القصص يمكن أن

تتجاوز هذا الحياد الدرامي ، خاصة في قصص الأطفال الموجهة ، دون أن تستغرق المباشرة القصة .

حقا إن التجرد والحيدة يدعمان البناء الفني ، ومن هنا كانت صعوبة قصة الأطفال الموجهة ، في وقوفها على الخط الفاصل بين الحيدة والمباشرة ، وعند هذا الخط تتعدد وسائل التوجيه ، كما سوف يتضح في مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " لشيخنا أبي الحسن الندوي .

وأعني بالتوجيه هنا توظيف الكاتب للوسائل التعبيرية في الشرح والتفسير مع المحافظة على الشكل القصصي ، وتحقيق غاياته الفنية والفكرية الإسلامية ، وذلك يتصل بالرؤية والأداة الكاشفة عنها ، وما بينهما من ارتباط عضوي[٣] ، وسوف أشير إن شاء الله خلال معالجتي لهذه المجموعة القصصية ، إلى بعض هذه الوسائل التعبيرية ، التي تشكل خاصية التوجيه – ذات الصلة الوثيقة بأدب الطفل التنموي – ، وإسهامها في بناء هذه القصص ، وتجليها كملمح مميز لها في طريقة الكاتب في التأليف والإبداع .

*** العوامل المؤثرة :**

ولقد كتب الشيخ أبو الحسن الندوي للكبار ، وللناشئة ، كما كتب للأطفال ، ومن أهم ما كتبه في هذا المجال مجموعة

" قصص النبيين للأطفال " ، ثم " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " معتمدا على كثير من المصادر التراثية في التاريخ الإسلامي وغيره منها : سيرة ابن هشام ، وزاد المعاد ، لابن القيم ، وصحيح البخاري ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وغيرها ، كما استفاد من بعض المصادر الأجنبية مثل كتاب " جنكيز خان " لهيرلد ليمب ، وكتاب " الدعوة إلى الإسلام " لتوماس آرنولد .

وإذا كان الشيخ قد ظهرت لديه موهبة الخطابة ، فقد نمت وتجلت بفضل اتصاله بشيخه محمود إلياس ، الذي التقى به في دلهى ، وقد أعجب الشيخ أبو الحسن به ، خاصة في توجهه للجماهير ، وارتحاله إليهم ، وحسن استقبالهم لخطبه ، وتأثيره العظيم فيهم[٤] ، بفضل طريقته في الدعوة إلى الله ، وعرضه للأدلة و وبسطها وسلامة ترتيبها ، وتقديمه لما به تصلح أحوال المسلمين وتتطور ، من هنا فقد أصبح شيخنا أبو الحسن خطيبا داعية ، أو داعية خطيبا ، ولقد شكل هذا التوجه معالجته لقصص التاريخ الإسلامي ، إذ يغلب على هذه القصص أسلوب الخطيب الداعية ، وهو مما يجلي فكرة القصة الموجهة لديه ، كما سوف يتضح .

ملامح التوجيه: الضمائر والعلاقات

ففي قصته:" رسالة إلى رسول الله ﷺ [٥] يستثمر الشيخ ما روي من أن رجلا جاء "يوم اليرموك إلى أبي عبيدة ﷺ – قائد المسلمين – فقال : إني قد تهيأت لأمري "أي الشهادة" ، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ . قال أبو عبيدة: نعم تقرئه عني السلام ، وتقول: يا رسول الله ﷺ عليك وعلى آلك والسلام ؛ إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا " [٦] .

من ثم يتشكل الحدث في هذه القصة معتمدا على هذا الخبر ، لتجسيد عنصر الحكاية بمعنييه اللغوي والفني ،اللغوي على معنى النقل ، أي النقل من التاريخ الإسلامي ، وحكاية الكلام ، والفني[٧] بمعنى توظيف هذا الحدث في بنية القصة لتحقيق الغايات الفنية ، والإسلامية المنوطة بها ، ومنها أن تُثَبِّت في ذهن الأطفال ما نعتقده نحن المسلمين من "وصول الميت إلى عالم الآخرة ، واجتماع الشهيد برسول الله ﷺ "[٨] ، وبرغم أنها فكرة مجردة لكن الشيخ يحاول بحسه الخطابي أن يقدم لها ما يسوغها فنيا بدليل بسيط يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩ : ١٢ سنة) ، منتقلا عن طريق التماثل من علاقة مألوفة بسيطة يدركها الأطفال ، هي علاقة الأب بالابن ،

وما بينهما من حب وحدب ورعاية ، إلى علاقة أخرى تماثلها في كونها بين طرفين لكنها تحتاج إلى مستوى أرقى في الإدراك ، وهي علاقة الأمة بالرسول ﷺ ، وما أثر عنه من رعاية شديدة لها ، ليقيس الطفل الثانية على الأولى ، فتستقر الفكرة العقدية المبتغاة في ذهنه ، ويستطيع استيعابها ، فالطفل في هذه المرحلة السنية المشار إليها يكون قادرا على القياس ، وإدراك بعض العلاقات[٨] .

وهو يقدم هذا الدليل مقترنا بعدة وسائل تعبيرية أخرى أسهمت في تشكيل القصة و إعطائها هذا الطابع الموجه الذي يعد من أهم سمات قصص الأطفال في هذه المجموعة عند الشيخ أبى الحسن ، وهو في الوقت نفسه نتيجة لحسه الخطابي في الاتصال بالجماهير ، وهو ما خصصنا له هذا القسم ، من هذه الوسائل التعبيرية هيمنة ضمير الخطاب (ك) على الفقرة الأولى من القصة هيمنة ، تجسد قوة الاتصال بين المرسل و المستقبل ، فيتأكد التواصل المرجو بينهما ، و التعاطف و حسن التلقي بين الطفل و العمل الأدبي ، يتضح ذلك في (جاءك-أباك-لك-منك ، بابيك-أبوك-عنك-صحتك)

التصوير:

فإذا ما تحقق هذا المستوى من التواصل والإدراك والاستيعاب بالنسبة للطفل ، لا يلبث الشيخ أن يدعمه بوسيلة

تعبيرية أخرى في الفقرة الثانية هي التصوير البياني المتمثل في "التشبيه" ، الذي برغم فنيته يمكن أن يناسب هذه المرحلة من مراحل الطفولة ، فهو قياس على شكل صورة بيانية ، تكشف عن علاقة الدنيا بالآخرة ، وتوضح اعتقاد المسلمين أن الموت هو الجسر الذي يربط بينهما ، يقول الكاتب "كل من عبر هذا الجسر من المسلمين وصل إلي الآخرة ، واجتمع هنالك برسول الله ﷺ ، وتشرف بزيارته ، ولابد أن رسول الله ﷺ سائل عن أمته " (١٠)

وإذا كان ضمير الخطاب هو المهيمن في الفقرة الأولى ، فإن ضمير الغياب هو المسيطر في الفقرة الثانية ، وذلك انتقال من المخاطب : الطفل الموجهة إليه القصة ، إلي الغائب المسلمين ، الذين تتحدث القصة عن معتقدهم في الصلة بين الدنيا والآخرة وعلاقة المصطفي ﷺ بأمته ، ومكانة الشهيد ، وصلته بذلك المعتقد ، عندما ينتقل من الدنيا إلي الآخرة ، وينال الحظوة بلقاء المصطفي صلى الله عليه وسلم ، من ثم كان الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغياب ، وسيلة تعبيرية أخرى لتثبيت الفكرة ودعمها في ذهن الطفل ، عن طريق "الالتفات" بواسطة هذه المغايرة بين الضمائر ، وأثر هذه المغايرة في تهيئة الطفل للتلقي والاستيعاب للفكرة .

وتأتي علاقة "التخالف" في الفقرة الثالثة ليستكمل بها شيخنا تقرير وتثبيت هذا المعتقد في نفس الطفل ، فإذا كانت علاقة التماثل في الفقرة الأولى قد كشفت عن اهتمام الابن بالاتصال بأبيه ، لإبلاغ سلامه إليه عن طريق القريب أو الصديق المسافر ، كما يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت على الالتقاء بالشهيد ، وسؤاله عن أخبار أمته اهتماما بهم ، فإن الفقرة الثالثة تبين أن القريب أو الصديق المسافر قد لا يلتقي بالأب ، ومن ثم لاتصل أخبار الابن وسلامه إلي أبيه ولا يتم الاتصال بينهما ، وهنا تتحقق المخالفة في أننا نحن المسلمين لا نشك في وصول الميت إلي عالم الآخرة واجتماع الشهيد لمكانته برسول الله صلى الله عليه وسلم واتصاله به ، وسؤال المصطفي له عن أحوال أمته ، وذلك معتقد للمسلمين لا يتبدل أو ينتقص ، وعلى أساس هذه المخالفة يمكن أن تتهيأ نفس الطفل لاستقبال ذلك المعتقد ، ومن ثم يستقر في وجدانه .

التناص (الاقتراض) وحكاية الحدث :

ويشكل الاقتراض من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لبنة مهمة أخرى في بنية هذه القصة ، خاصة وهى تتحدث عن انتصار المسلمين ، ووعد الله لهم بذلك ، كما في قوله تعالى : {إنهم لهم المنصورون ، وإن لهم الغالبون } [١١]

وكذلك حديث المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم عندما بشر بذلك " لتفتحن كنوز كسرى وقيصر " ، والنصان معا في صلب القصة بشرى لكل مؤمن بالنصر ، مما يجلى الرغبة في الشهادة في ميدان الحرب غاية سامية إيجابية ، يتطلع إليها المؤمنون ، لأنها شهادة قرينة بالنصر ، من ثم فقد جاء ذلك الرجل إلي أبى عبيدة وهو موقن بالأمرين معا الشهادة و النصر ، متطلع إليهما معا ، حريص على لقاء المصطفي ﷺ ، وبذلك يسهم الاقتراض في تشكيل الحدث مجسدا عنصر الحكاية ، كما أشرت في بداية هذه الدراسة ، والحكاية هنا هي ما يُحكى ويُقص ، من مرسل إلي مستقبل مباشرة أو استحضارا ، فيتأكد التواصل وحسن التلقي ، والاستيعاب و التوجيه في القصة وهكذا تتآزر هذه الوسائل التي تكشف عن محاولة الشيخ أبى الحسن تشكيل قصة للأطفال ، تعتمد على الخبر التراثي ، وتتوسل بوسائل الحس الخطابي لتثبت في نفس الطفل ذلك المعتقد الإسلامي ، وهو الاتصال بين الدنيا والآخرة ، والتقاء الشهيد هناك بالمصطفي صلى الله عليه وسلم .

والتركيز على الحدث على هذا النحو ، قد لا يتيح للعناصر القصصية الأخرى ، من عناية الكاتب ما يبرزها ، وذلك لصغر حجم القصة ، برغم فاعلية هذه العناصر الأخرى في هذه المساحة الضيقة ، وهى فاعليه جلية في تحديد المكان

والزمان و الشخوص ، إذ يتجلى ذلك في كون هذه المعركة معركة اليرموك التاريخية في الشام بقيادة أبى عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه .

ويمكن أن تمثل هذه القصة بهذا التوجيه وذلك التشكيل مجموعة من قصص هذا الكتاب منها " رحلة سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ إلي بيت القدس " [١٢] ، مع فارق جلي بينهما أن قصة " رسالة إلي رسول الله ﷺ " تعتمد في تشكيلها على الحدث بالدرجة الأولى ، بينما حكاية " رحلة سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ إلي بيت القدس " ، تعتمد الشخصية في بنائها وتطويرها ، كما تعنى بالحدث وتجليه .

التوجيه والحس الخطابي :

ومما يكشف عن التوجيه أيضا كملمح في القصة نتيجة للحس الخطابي في هذه المجموعة القصصية ؛ أن الكاتب قد يتجه مباشرة إلي متحدث أمامه ، وكأنه يخاطبه ، وذلك امتداد لتوظيف ضمائر الخطاب التي سبقت الإشارة إليها كوسيلة تعبيرية ، يتضح ذلك في قصته "قدَرّ الشيء حق قدره والجزاءُ الأوفى عليه " [١٣] ، التي تتناول موقفا للحسن بن على ﷺ ، عندما رأى عبدا يأكل رغيفا ، فيضع اللقمة في فمه ، ويقدم الأخرى للكلب دون مغابنة حتى انتهى الرغيف ، فما كان من

الحسن ﷺ ، وإعجابه بموقف العبد إلا أنه اشتراه وأعتقه ، كما اشترى له البستان الذي وجده يؤاكل الكلب بجواره ، يقول الكاتب في هذه القصة :

"كلكم تعرفون الحسن بن على ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ... وإليكم حكاية تدل على علو همته ، وقدر الفعل الحسن حق قدره والجزاء الأوفى عليه....." (١٤)

وكذلك في قصة "جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس " (١٥) التي يكشف فيها الكاتب عن إسلام التتار ، بفضل حكمة ولباقة داعية إسلامي هو الشيخ جمال الدين من بخارى ، عندما رد بحكمة على تغلق بن تيمور خان ملك كاشغر ، الذي أسلم ودعا غيره من مواطنيه إلي الإسلام ، وبذلك تغير مستقبل الأسرة الحاكمة في تركستان من الكفر إلي الإسلام .

يقول الكاتب في هذه القصة :

" لعلكم سمعتم أو ستقرءون في كتب التاريخ قريبا - خبر غارة التتار على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري .....

" إليكم حكاية من حكايات هؤلاء الربانيين الكثيرة الذين يرجع إليهم الفضل في إقبال هؤلاء التتار على الإسلام ..."

ويلاحظ في كلتا القصتين أثر " ضمير الخطاب الجمع " في استحضار الكاتب للمتلقين من الأطفال كلون من ألوان الاتصال والتجاوب من النص و التوجيه المباشر لهؤلاء المتلقين ، وذلك ملمح يتضح في كثير من حكايات هذه المجموعة ، وهو في الوقت نفسه نتيجة من نتائج الحس الخطابي لدى الشيخ الندوي وهو يتوجه إلي الأطفال بحكاياته المستمدة من التاريخ .

المقدمة التفسيرية السردية :

وفي قصته " الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين " (١٦) نلاحظ أولا الاقتراض في العنوان من سورة يوسف عليه السلام ، بتوظيف مادة (حفظ) ، ونسبة الحفظ لله ﷻ في كلا الموقفين ; في الآية الكريمة عندما جاء إخوة يوسف عليه السلام يستأذنون أباهم في اصطحاب أخيهم الصغير إلي مصر ، حيث يوسف عليه السلام أمين على خزائنها ، دون أن يعلمون حقيقته ، وكذلك في القصة الأولى من المجموعة التي نعرض لها ، حيث يشير الكاتب إلي حفظ الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ورعايته له ، ومن ثم يتشكل الحدث بأجزائه وقد هيمنت عليه فكرة حفظ الله ﷻ للرسل (١٧) .

ومن مقومات الحس الخطابي هنا أيضا محاولات الكاتب التفسير و الشرح والبسط ليصل إلي عقل المتلقي ووجدانه ،

سواء كان هذا الشرح لبعض مفردات اللغة الموظفة ، أو للمواقف و الأحداث ، من ثم تتعدد وسائل ذلك الشرح ، ليتحقق التواصل بين المرسل و المستقبل ويتحقق التأثير و الإمتاع ، وهما عماد الخطاب في الخطبة ، ولقد تجلى ذلك في هذه القصة كأدوات للكشف عن رؤية الكاتب التي يبغى تقديمها للأطفال ، لتشكيل وجداناتهم بها ، وتثبيت العقائد الصحيحة ، والأخلاق القويمة ، في عقولهم وقلوبهم ، وهى هنا يمكن أن تتمثل في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته ، ورعاية الله ﷻ وحفظه له ، والحث على الجهاد في سبيل الله .

ويتصل بهذا الموقف الفني الموجه للقصة ، المتمثل في الشرح و التفسير ، الذي هو صدى للحس الخطابي لدى شيخنا ، المقدمة السردية التمهيدية للقصة ، التي يحاول الكاتب فيها الإضاءة للمواقف المشكلة للقصة عندما يحين حديثه عنها والتحامها بجسم الحدث مشكلة له ، ولذلك تبدو هذه المقدمة كتمهيد ، برغم اتصالها بما يليها من أحدث جزئية ، وهى في الوقت نفسه ذات طابع تفسيري سردي ، وذلك ملمح يتجلى في كل قصص هذه المجموعة تقريبا [١٨] .

أثر الاستفهام في تشكيل الحدث :

ويتضح الأسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام ، والإجابة عنه وسيلة تعبيرية أخرى تكشف عن الحس الخطابي الموجه عندما يوظفها الكاتب للشرح و التفسير في القصة مستحضرا جمهور الأطفال الذين "يوجه" إليهم هذه القصة ، وفي الوقت نفسه ; يبنى به حدثه خلال تشكيلها ، وقد يكون هذا السؤال نصا تراثيا لكن الكاتب يجعله وإجابته يلتحمان ببنيته القصصية ، ويسهمان في نموها ، من هذه المواضع ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكى رضي الله عنه ، عندما كان يتعجب من عدم اكتشاف الكفار لهما برغم يسر ذلك وهما مختفيان بغار ثور ، : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟"[١٩] .

ثم يقرن الكاتب بذلك السؤال النص القرآني تأكيدا لحفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ﷺ ، وكأنه إجابة عن السؤال : {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } [٢٠] ، مما ينمي الحدث ، ويكشف عن الغاية الفكرية التي يجسدها العنوان ، و المتمثلة في { الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين }فيستقر في ذهن الأطفال الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وحفظه له ،

وهناك أسئلة تسهم في تشكيل حدث القصة أيضا ، لكن الكاتب لا يقدم إجابة عنها ، ومع ذلك تحقق جانب الشرح و التفسير ، لأن السياق القصصي يوحى بهذه الإجابة ، كما أنها ترتد شاهدة على عنوان القصة ،مجسدة لتحققه ، وذلك كقول الكاتب تعليقا على عدم اكتشاف المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابه ، برغم وصولهم إلي مدخل الغاز ولكن إرادة الله وحفظه جعلت العنكبوت تنسج نسجا على باب الغار .. يقول : " وكيف يدخل أحد الغار ، ولا يُقطعُ نسج العنكبوت ، ويبقى على حاله؟"[٢١] .

من ثم يتآزر هذان السؤالان بإجابتيهما في تشكيل هذا الموقف الكاشف عن حفظ الله لرسوله ﷺ، وتدعم طريقة الكاتب هذه في الحكاية (بمعنى ما يُحكى ويُقص) غايته في تثبيت ما ينيطه بالقصة من معتقدات إسلامية .

وبرغم أن الاختفاء في الغار حدث مستقل ، لكن الكاتب يربطه بغيره من المواقف التي يلتقطها من التراث ، للكشف عن حفظ الله للرسول ﷺ كما سوف يتضح ، وليس هذا الربط ربطا تاريخيا ، وإنما هو ربط قصصي منطقي ، وبذلك يستثمر الكاتب السيرة النبوية الكريمة وأحداث التاريخ في بناء حكاياته للأطفال .

ويشير الكاتب في حديثه إلي بعض التفاصيل المتعلقة ببعثة المصطفي ﷺ وجهاده ضد الشرك والمشركين ، وهجرته إلي المدينة ، مبرزا لبعض مظاهر رعاية وحفظ الله لرسوله ﷺ في هذه الأحداث ، حتى تهيأ الرسول للغزو دفاعا عن الحق ، وردا لكيد المشركين ، وفي إحدى هذه الغزوات ، نام الرسول أثناء العودة منها ، تحت شجرة ، وترك سيفه معلقا بها ، وانتهز أحد المشركين هذه الفرصة ، والتقط السيف ووقف به على رأس الرسول ﷺ مهددا إياه ، سابرا شجاعته وثباته ، قائلا له من يحميك مني الآن ؟ فيجيبه رسول الله ﷺ في ثقة وتلقائية : الله ، مما أذهل المشرك فسقط السيف من يده ، وبذلك ينقلب الموقف ، إذ يلتقط الرسول ﷺ السيف ، ويسأل خصمه عما يمنعه هو منه الآن ، وبينما يستجدي المشرك عفو الرسول ، يطلب منه صلى الله عليه وسلم الشهادة ، لكن الرجل يرفض ، ويعاهد الرسول ﷺ على ألا يقاتله ، ولا يكون مع قوم يقاتلونه ، مما جعل الرسول ﷺ يعفو عنه ، ويذهب الرجل إلي أصحابه ، مقررا لهم أنه التقى بخير البشر .

وإذا كانت معظم الأحداث السابقة في هذه القصة مقررة ومسجلة في مصادر التراث الإسلامية ، فإن أول مسوغات التقاط الكاتب لها ومحاولة الربط القصصي بينها وتوظيفها فنيا ،

أنها جميعا تكشف عن مظاهر حفظ الله للرسول صلى الله عليه وسلم ورعايته له .

وكما يتضح السؤال والإجابة عنه كوسيلة تعبيرية توجيهية في هذه القصة أيضا ،عندما يتناول الكاتب فيها موقفا آخر من المواقف المشكلة لحدثها ، وهو تلك الغزوة التي نام الرسول ﷺ تحت شجرة ليستريح أثناء العودة منها ، يقول الكاتب في هذا الموقف من القصة ، شارحا معنى "الغزوة" "وخرج رسول الله ﷺ وآله في غزوة ، هل تعرفون ما هي الغزوة؟" وتصبح الإجابة عن هذا السؤال شرحا للمفردة ، ومدخلا لبناء الحدث في هذا الموقف ليتكامل مع غيره من العناصر الفنية في تشكيل القصة ثم يقول :

" لعلكم تعلمون أن المسلمين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل الله ، وكانوا يقاتلون المشركين والكفار لوجه الله ﷻ ، ولعلكم تعلمون فضيلة الجهاد في سبيل الله ؟ وكان النبي ﷺ يخرج أحيانا مع المسلمين وأحيانا يمكث في المدينة لشغل أو مصلحة ، ويبعث جندا من المسلمين .

فالغزوة ما خرج فيها الرسول ﷺ في جند من المسلمين للجهاد في سبيل الله .

نعم ، فخرج رسول الله ﷺ في غزوة ورجع عنها في الظهيرة ، وكانت أيام الصيف ، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح....." (٢٢) .

وتأمل فيما سبق تكرير "لعلكم" بما تتضمنه من خطاب يهيمن على هذه الفقرة وسياقها ، ليستحضر المخاطبين ، ويتحقق التواصل و التوجيه .

محورية الفعل الماضي "كان":

ومن الطبيعي في مثل هذا السياق القصصي الحكائي أن يسود الفعل الماضي ، كملمح لغوي أخر ، خاصة الفعل "كان" مع تغير ما يسند إليه ، كما تتخذ الأفعال المضارعة الدلالة الزمنية نفسها في هذا السياق مسهمة في تشكيل عنصر الحكى القصصي الذي يجسد التوجيه ، وهو في الوقت نفسه يجتذب الأطفال في جميع مراحل عمرهم ، لكون هذا الزمن يدل على أحداث قد تمت وتحققت ، خاصة عندما تتضمن ما يثير دهشتهم ، بكشفها عما لا يتوقع كإخفاء الرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه بالغار ، ووصول المشركين إليه دون اكتشافهم لمن فيه ، وعدم خوف الرسول من تهديد المشرك والسيف في يده .

وقد يكون مصدر الدهشة "التحولات غير المتوقعة" خاصة عندما ترتبط ببعض مظاهر البطولة ،كسقوط السيف من

يد المشرك ، والتقاط الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا السيف ، وتحوله من مُهدّد إلي مُهدِّد ، ولا تفسير لغير المتوقع فيما سبق إلا إرادة الله ﷻ - الحافظة لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه ، وهو ما يجسد عنوان هذه الحكاية أو القصة ، كما إن مظاهر البطولة والشجاعة هنا مما يناسب نمو الطفل في هذه المرحلة السنية التي تلاؤمها هذه القصة ، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة [٢٣] ، التي يميل الطفل فيها إلى المغامرة والبطولة والمنافسة والشجاعة ، وهذه الحكاية من الحكايات التي يمكن أن تشبع هذه الميول . وتأمل استخدام الشيخ للفظة "حكاية" بدلا من قصة ، لأنها أبسط في شكلها ، وأقرب إلي المتلقين من الأطفال ، لوضوح الحدث فيها ، وبساطة التعقيد ، وقلة الشخصيات ، واستخدام لفظة "كان..." بصورة لافتة للنظر ، مؤكدة اتصال المرسل بالمستقبل وتواصلهما ، وتجلي الدرس التعليمي المتمثل في لباقة الداعية إلي الله ، وملاءمة الإسلام بمبادئه وتعاليمه لكل البشر .

بالإضافة إلي أن هذه الحكايات يمكن أن تكون امتدادا للرصيد الموروث على المستويين المحلى والعالمي لحكايات الأطفال ، خاصة و الفعل الماضي "كان" مع تغير ما يسند إليه كملمح لغوى مهيمن على كثير من قصص هذه المجموعة ، وارتباط هذا الفعل بمعنى الحكاية اللغوي الذي أشرت إليه سابقا

، بالإضافة إلي ما أثر من حكايات "كان يا ما كان" للأطفال التي تعتمد على الراوي ، وحشد الوسائل اللغوية التي أشرت إلي بعضها ، من أجل تقريب المتلقي الطفل من المبدع الذي يحكي ويفسر ويسرد أحيانا ، وتجلى ملمح التوجيه مشكلا لبنية هذه القصص ،

كل ذلك من الأسباب التي تجعلني أقترح عنوانا آخر لهذه المجموعة ، هو : "حكايات للأطفال من التاريخ الإسلامي" بدلا من قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " ، خاصة و المؤلف نفسه استخدم لفظة حكايات[٢٤] في معالجاته للقصص الأخيرة من هذه المجموعة .

بعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي:

و القصتان الأخيرتان في هذه المجموعة وهما "فمن عفا وأصلح فأجره على الله "، و"رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " يتضح فيهما كثير من خصائص " التوجيه " التي أشرت إليها سابقا ، لكنهما تضيفان بعدا جديدا لمفهوم التاريخ الإسلامي في ذهن الأطفال ، بكشفهما عن جانب من صراع المسلمين في الهند ، ونضالهم من أجل عقيدتهم والدعوة إليها ، وهو جانب مجهول به تكتمل حلقات هذا التاريخ وتتصل ، ويتمثل ذلك في نضال الإمام السيد احمد بن عرفان الشهيد (١٢٠١-١٢٤٦ هـ) الذي بويع بالإمارة سنه ١٢٤١ هـ منشئا دولة إسلامية على الحدود

الشمالية للهند ، قاومت المستعمر وروعته ، بفضل أولئك الرجال الذين رباهم علي الإسلام وتعاليمه .

كما تكشف هاتان القصتان عن "الاقتراض من القرآن الكريم" في العنوان ، وأن ذلك وسيلة تعبيريه يعتمد عليها الكاتب للتأثير بها في المتلقين وتوجيههم خاصة عندما يسهم هذا العنوان في تشكيل الحدث في الحكاية ، في بعض قصص هذه المجموعة والتي منها أيضا "الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين" التي سبقت الإشارة إليها كنموذج لهذه الوسيلة التعبيرية .

ولعل ما أشرت إليه من وسائل تعبيرية في تشكيل مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " للشيخ أبي الحسن الندوي ، قد كشفت عن أثر الحس الخطابي لديه في إبراز ملامح التوجيه في هذه المجموعة القصصية ، مجلية نموذجا من نماذج قصص الأطفال وحكاياتهم ، التي تنتمي إلي أدب الأطفال التنموي وهى قصة الأطفال الموجهة ، وذلك ملمح من ملامح التغيير في بناء القصة اليوم ، لتساير ما نبتغيه من تمكين أطفالنا من الاتصال بحشد المعارف والمعلومات النظرية والعملية والإنسانية والتكنولوجية التي يحملها العصر لنا ولهم ، وهنا قد وضحت الجوانب الإنسانية في توظيف السيرة النبوية الشريفة

والتاريخ الإسلامي ، وأثر الحس الخطابي في تشكيل بنية قصص الأطفال في هذه المجموعة القصصية .

أثر رقى الحياة وتقدمها الفكري و التكنولوجي في بعض قصص الأطفال :

شهدت قصص الأطفال في بداية اهتمامنا بأدب الطفل في العصر الحديث عناية بالكشف عن جوانب حياة الشخصية ، لإبراز العبرة والعظة والدرس الأخلاقي بصورة مباشرة ، يقترن فيها السلوك بالفكرة وذلك خلال مجموعات قصصية ذات عناوين عامة تتضمن أكثر من غاية أخلاقية ، أو تحث على مسالك سوية ، وتتضمن هذه المجموعات قصصا تكشف عن هذه الغايات و المبادئ الأخلاقية المتعددة ، أو ترشد إلي أنواع السلوك السوية المختلفة وقد تتضح في هذه المجموعات العناية بالعناصر القصصية المختلفة كالبيئة ، والشخصيات والحدث وغيرها كما قد تعتمد هذه القصص على القصص القرآني ، أو أحداث السيرة النبوية الكريمة ، أو بعض كتب التراث ، أو بعض جوانب الحياة العامة التي قد يتصل بها الأطفال ، مثل قصص الأنبياء لعبد اللطيف عاشور ، ومجموعة "قصص الأنبياء" لمحمد أحمد برانق ، "وقصص القرآن" لمحمد على قطب ، ومجموعة "القصص الدينية" لمحمد أحمد برانق أيضا ، ومجموعة "أمهات المؤمنين" التي أصدرتها دار المعارف ،

و"قصص الأنبياء" لعبد الحميد جودة السحار ، وقد صدرت في أجزاء لكنها لا تخرج أيضا عن هذه الغايات العامة المتعددة ، والكشف عن أنواع السلوك السوية المتباينة ، وكذلك مثل "نحن نحب هؤلاء" لكمال رشيد ، التي أصدرتها إدارة الثقافة والنشر بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، وهي تتحدث عن بعض فئات المجتمع كالعامل والفلاح والجندي وغيره .

وربما اتخذت المجموعة القصصية شخصية فكهة من التراث لعرض بعض نوادره ، أو إسقاط جوانب من الواقع المعيش على سلوك الشخصية ، كجحا مثلا في "نوادر جحا البخيل" لعبد العزيز بيومي.

ونظرا لمتغيرات اليوم التي تجلت في التقدم الفكري والعلمي وتعدد مناهج البحث ، واتساع الحياة العقلية مع ميلها إلي التخصص الدقيق ، فقد اتجهت كثير من المجموعات القصصية للأطفال إلي التحديد الدقيق للغاية والهدف منها ، سواء من خلال اختيار المواقف التاريخية وإعادة صياغتها فنيا للأطفال، أو التشكيل المباشر لقضايا واقعهم المعيش، أو ما يتصوره المؤلف من خيال يعتمد على العلم ونظرياته ، وذلك برغم ما في هذه الغايات من تجريد ، من هنا وجدنا بعض المجموعات القصصية للأطفال تتخذ من القيمة الأخلاقية أو السلوكية عنوانا

واضحا محددا لها ، بحيث تهدف المجموعة القصصية كلها إلي هذا العنوان من خلال تشكيل المواقف الإسلامية المختلفة التي تتضمنها هذه المجموعة القصصية ، موظفة لبعض عناصر القصة الفنية ، في كل قصة من القصص التي تشتمل عليها ، كما في مشروع الإنتاج الإعلامي "أطفالنا" الذي تصدره في جدة والقاهرة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ، وقد صدر منه عدد من السلاسل منها : سلسلة قصص "الأخلاق" التي شملت حتى الآن إحدى وعشرين مجموعة "قصصية" تعرّف كل مجموعة منها بخلق من الأخلاق تتخذه عنوانا واضحا محددا لها ، وتقدم حوالي خمس عشرة قصة تبرز هذا الخلق وتحببه إلي الأطفال ، وتكرير المواقف وتباينها من أهم عوامل تنمية الإحساس بهذه القيمة الأخلاقية في نفس الطفل ، وهذه من مزايا القصص اليوم، وهى في الوقت نفسه تشكل ملمحا من ملامح "أدب الطفل التنموي" ، مثل مجموعة : "قصص في الشجاعة" و"قصص في الإخلاص" ، و"قصص في الأمانة" وهكذا . وقد يكون هناك مجموعات قصصيه قليلة للأطفال ، تنتهج هذا النظام في ما سبق .

لكن الجديد حقا ويتضح فيه أثر المتغيرات ، والعمق الفكري ، هو أن تتعدد هذه المجموعات القصصية محاولة استقصاء نوعيات الأشخاص الذين تتحقق فيهم هذه القيمة

الأخلاقية أو السلوكية ، مشكلة سلسلة قصصية ، تتألف كل مجموعة منها من مواقف لأشخاص ، يجمع بينهم "الذكاء" مثلا بالإضافة إلي كونهم إنسانيا ومعرفيا قد يكونون في مجال إنساني واحد مع اختلاف المواقف/"كسلسلة الأذكياء التي تصدر ضمن مشروع الإنتاج الإعلامي "أطفالنا" نفسه المشار إليه سابقا،وهو لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، وتكشف هذه السلسلة عن حسن التصرف/وما يتضمنه من بعد نظر متمثلا في تجلى الذكاء كقيمة وسلوك يحققان الخير والسبق للفرد أو الجماعة ، تلك السلسلة التي بلغ عدد مجموعاتها القصصية ست مجموعات وهى : أذكياء الشعراء ، أذكياء الفقهاء ، أذكياء القضاه ، أذكياء القمة ، وذكاء الأنبياء ، وذكاء الصحابة . بالإضافة إلي أن كل مجموعة من هذه المجموعات القصصية في السلسلة الواحدة تتألف من خمس عشرة قصة ، مما يوسع من مجال الظاهرة إنسانيا ، كما تتعدد وتتنوع المواقف الكاشفة عن الذكاء ، مما يقدم للطفل مجالا رحبا للاستفادة إنسانيا ومعرفيا ، كما يقدم له القدوة الصالحة المتعددة الجوانب بالإضافة إلي المتعة الوجدانية التي تؤكد من فرص استفادة الطفل وتطور تجاربه وخبراته كما تنمى في نفسه هذه القيمة .

عرض وتحليل للمجموعة القصصية : ذكاء الصحابة

تنوع الوسائل التعبيرية:

برغم أن هذه المجموعة إحدى مجموعات سلسلة "الأذكياء" ، وتتألف من خمس عشرة قصة ، وتتكون من مواقف يتضح فيها حسن التصرف ، وبعد النظر كما أشرت سابقا وهى ذات عنوان عام واحد وهدف مشترك ، لكن وسائلها التعبيرية متعددة مما يساعد على غرس القيمة الأخلاقية والسلوكية وتثبيتها في ذهن الأطفال ، بالإضافة إلي تنمية الإحساس بها في نفسه .

فنجد مثلا "**التورية**" في القصتين الأوليين : قصة "هادى الطريق " عندما يجيب أبو بكر ﷺ وقد سئل عن رفيقه الذي يسير معه ، وهو رسول الله ﷺ: (هاد يهديني) وهو بذلك يلمح إلي هداية الرسول " صلى الله عليه وسلم " له إلي الدين الإسلامي ، وهو المعنى البعيد المراد ، بينما المعنى القريب الذي صار إليه فهم المستمع ، أنه يهديه إلي الطريق الذي يسلكه وخاصة قد كان ذلك أثناء هجرتهما من مكة إلي المدينة ، وأبو بكر رضي الله عنه يبغى من وراء ذلك إخفاء شخصية المصطفي عليه الصلاة والسلام والاعتراف بفضله ومكانته في الوقت نفسه .

وكذلك في القصة الثانية "أدب العباس " رضي الله عنه عم الرسول ﷺ عندما سئل أيكما أكبر فيجيب "إنه أكبر منى وأنا ولدت قبله" ، فالتناقض الزمني في العبارة كاشف عن أن المراد بأكبر هنا المكانة والقدر وليس العمر الزمني الذي تجليه الجملة الثانية .

وكلتا التوزيتين تكشفان عن مكانة الرسول ﷺ ، وذكاء أبي بكر و العباس عم الرسول ﷺ ، وحركة ذهن المتلقي في مجال الدلالة بين المعنيين القريب والبعيد للعبارتين المشار إليهما إثراء للجانب الجمالي الوجداني التعبيري ، وقد يعترض على ذلك التفسير ، وأنه فوق مستوى الأطفال ، لكن العبارتين وهما تستخدمان في هاتين القصتين تقترنان بالمقصود منهما ، بالتدخل المباشر من كاتب القصة ، مما يجعل تمثلهما الدلالي ممكنا للطفل في هذه المرحلة المتوسطة من حياته .

وإذا كان التراث في مثل هذه القصص يقدم للكاتب كل تفصيلات الحدث تقريبا ، **فإن دقة الاختيار لهذه التفصيلات ، وتحديدها،والصياغة الفنية البسيطة الملائمة** للطفل ترقى بهذا الجهد المبذول إلي مستوى التشكيل القصصي للتراث ، لتحقيق الغايات المنوطة بالنسبة للطفل ، معرفيا ووجدانيا .

وفي ضوء ذلك يتضح أن استخدام هاتين العبارتين قد شكل نهاية الحدث في كلتا القصتين ، وكشف عن **بساطة " عقدتيهما " و " حليهما "** في الوقت نفسه ، كما يأتي التفسير المباشر من قبل المؤلف للعبارة الأولى في قصة " هادي الطريق " مشبعا لدى الطفل الرغبة في المعرفة ، وإضاءة الحدث وعقدته ، بل وإراحته نفسيا وهو يستقبل الدلالة الصحيحة للعبارة ، خاصة وهي تكشف عن أثر الرسول ﷺ في صاحبه كنموذج للرفقة السوية ، وأثر الدين الإسلامي في الفرد ، وليس الفرد هنا هو أبو بكر فقط رضي الله عنه ، ولكنه المسلم بصفة عامة .

بالإضافة إلي أن هذا التفسير قد يكشف في هذه القصة عن شيء من "**التوجيه**" الذى اعتبرناه ملمحا مميزا لمجموعة قصص من التاريخ الإسلامي للشيخ أبي الحسن الندوي التي قد سبقت الإشارة إليها ، وهو في الوقت نفسه من الملامح الفنية ، لأدب الأطفال التنموي .

كما تأتي عبارة (هو أكبر مني ، وأنا ولدت قبله) في قصة أدب العباس رضي الله عنه ، كاشفة عن دلالتها الصحيحة ، والغاية منها بواسطة هذا التناقض بيّن دلالتي جملتيها ، كما أشرت ، إذ بين مكانة الرسول ﷺ ، و هدايته للناس ، وهكذا إذا كانت القصتان الأوليان في هذه المجموعة تتحدان في الغاية و

الهدف كشفا عن مكانة الرسول ﷺ ، وذكاء صحابته فهما أيضا تشيران إلي أثر الإسلام في الفرد و المجتمع .

ومن الوسائل التعبيرية هنا أيضا **بساطة العلاقة التي ينبني عليها كلا الحدثين** في هاتين القصتين ، فهي علاقة بين شخصين اثنين ، في الأولى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ﷺ ، وفي الثانية الرسول ﷺ و العباس ﷺ ، وقلة الشخوص على هذا النحو ووحدانية العلاقة التي تتبني عليها القصة ، تجعل تمثلها الدلالي ميسرا أيضا بالنسبة للطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة .

وإذا كان " **الزمان** " يدرك بسهولة في هاتين القصتين ، فهو صدر الإسلام ، وعصر الرسول ﷺ ، فإن **المكان أيضا** قد تحدد في ضوء ذلك وهو الجزيرة العربية خاصة مكة والمدينة ، بل إن كلمة " مهاجر " في السطر الأول من القصة الأولى إشارة واضحة إلي الطريق بين مكة و المدينة ، وتحدد الزمان و المكان ووضوحهما من أهم العوامل المهيئة للطفل المتلقي كي يتراسل وجدانيا مع القصة ، ويتمثلها دلاليا و معرفيا ، كما تستقر غاياتها و أهدافها الإسلامية في نفسه ، فإذا ما تكررت وتنوعت المواقف القصصية في كشفها عن القيمة الأخلاقية ، وذلك بتعدد القصص التي توضح هذه القيمة ، أدى ذلك أيضا

إلي تنمية إحساس الطفل بهذه القيمة ، و"التكرير" للمواقف على هذا النحو يمكن أن نعده من الملامح الفنية للقصة في أدب الأطفال التنموي .

واللغة في هذه المجموعة القصصية (ذكاء الصحابة) ، بسيطة سهلة ، فلا تباعد بين أطراف الجمل ، ولا اعتراض ولا تقديم يعوق استمرار الفهم وتمثل الدلالة ، ويمكن الاستشهاد بأي فقرة بطريقه عشوائية ليتضح هذا النحو في الصياغة ، ففي قصة " أدهى العرب " ، وهى القصة الرابعة عشرة وقبل الأخيرة في هذه المجموعة نجد هذه الأسطر الأولى فيها . " في معركة أجنادين ، احتاج عمرو بن العاص – ﷺ – ، إلي معرفة شيء عن جيش الروم ، فقرر الذهاب إلي قائد الروم على أنه رسول من قائد المسلمين إليه ، ولما انتهى عمرو من مهمته ، وقام ليخرج ، أرسل القائد إلي حراسه أن يقتلون عمرا عند خروجه".

لكن الملاحظ على لغة هذه المجموعة إيثارها للبساطة و اليسر في التعبير ، دون تطعيمها بملامح جمالية ، تثري الجانب الجمالي الوجداني لدى الطفل ، اللهم إلا بعض العبارات المأخوذة مباشرة من التراث ، مع أن الهدف الجمالي من أهم غايات أدب الأطفال التنموي ، وذلك لتربية ذوقه ، وصقل الحاسة الجمالية

الفنية لديه ، وتنميتها ، و التأثير بالقيمة الفكرية و الموضوعية المتضمنة .

وربما يتصور بعض الكتاب أن هذا الجانب يتعارض مع مستوى الطفل ، وهو تصور يحتاج إلي إعادة نظر في أدب الطفل و غاياته و أهدافه ، إذ لا تعارض بين البساطة في التعبير وجماليته ، ولعل لنا في العبارتين التراثيتين اللتين استخدمتها في القصتين الأوليين في هذه المجموعة ، ما يؤكد ما ذهبنا إليه من كون الغاية الجمالية هدفا رئيس من أهداف أدب الأطفال ، وهي غاية تتجاوز جمال العبارات إلي جمال البناء الفني نفسه للقصة كلها ، وذلك مما يجعل كتابة أدب الطفل عملا فنيا شاقا ، إلا للمتمرسين من أدباء هذا اللون ، المؤهلين فنيا ونفسيا وتربويا ومعرفيا للتصدي له .

وتقترن كل قصة بصورة في الصفحة المقابلة لها ، وهي صورة توضيحية ملونة ، تعين الأطفال على تمثل فكرة القصة وفهمها ، وبذلك تتآزر الصورة و الفكرة في تحقيق الاستجابة المطلوبة من الطفل ، بناء على توظيف أكثر من حاسة كوسيلة لاتصال الطفل بهذه القصة .

بالإضافة إلي **الورق المصقول المستخدم** في طباعة هذه المجموعات القصصية ، لتتحمل عبث الأطفال ، و الألوان

المبهرة الجذابة المتعددة للغلاف و الصور الداخلية ، و الخط الكبير الواضح الذي تسهل على الأطفال قراءته ، كما تتميز هذه القصص بقصرها حجما وكما ، فهي لا تتجاوز الصفحة الواحدة إن لم تكن أقل من ذلك ، حتى يستطيع الطفل استيعابها في جلسة واحدة ، مما يساعد على سرعة استجابته لها ، وسهولة تأثيرها فيه بالقيمة الأخلاقية المنوطة بها ، والعلاقات في هذه القصص تتلاءم مع التطور الذهني للطفل غالبا[٢٥] ، فهي تناسب مرحلة الطفولة المتوسطة من (٩:٦ سنوات) ، وهي المرحلة التي يتوافق معها الحدث البسيط ، و البعد عن تعقد العلاقات الفنية ، لكن الأطفال في هذه المرحلة يدركون المواقف المتناقضة و المتباينة ، مما يساعدهم على تمثل هذه القصص وحسن استيعابها.

ما عدا قصة " مر الحق " وهي القصة السابعة فإنها لا تتناسب إلا مع أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة ، لما فيها من تعقيد فني ، مرده إلى أنها تتكون من ثلاثة أشخاص ، بالإضافة إلى أن العلاقة بينهم تتبني على مجموعة من الأسس الرياضية الحسابية ، التي قد تكون فوق مستوى مرحلة الطفولة المتوسطة ، لأنها تتعلق بجدول الضرب في الحساب و توظيفه في عمليات حسابية معقدة بالنسبة لهذه المرحلة من الطفولة .

وبرغم أن الصفحة الأخيرة قبل صفحة الغلاف جاءت بصورة تقريرية ، لكنها ختام مناسب يلخص غاية المواقف القصصية ، الخمسة عشر ، ويؤكد سلامة العنوان وملاءمته بصفة عامة ، كما يعد هذا التلخيص الذي لا يتجاوز صفحة واحدة ، وسيلة لتثبيت القيمة الأخلاقية و السلوكية في ذهن الطفل ، وهي الغاية المنوطة بهذه المجموعة .

ونظرا لاعتماد هذه السلسلة على التراث ، فهي **تقدم أحيانا تفسيرا لبعض الكلمات** ، التي قد لا يسهل فهمها على الأطفال ، كما أنها قد تضبط بعض الكلمات بالشكل ، مما يعين الأطفال على سلامة القراءة ، وصحة الفهم لأفكار القصة .

بعض السلبيات :

لكن هذه القصص يعوزها أن تشير على غلافها إلى مرحلة الطفولة التي تتناسب معها ، حتى يسهل على الأطفال وأهليهم اختيارها لهم ، وهذه الإشارة يجب ألا يخلو منها أي عمل أدبي يقدم للأطفال ، لان متغيرات الحياة اليوم تستلزم تحديد مستوى المادة القرائية التي تقدم للأطفال ، و الحرص على التلاؤم بين هذه المادة و المرحلة السنية التي تقدم لها .

كما أن الصلة قد تكون منفكة بين القصة و الصورة المقابلة لها أحيانا ، ومن ثم فهي لا تسهم في توضيحها ، ولا

تحقق الغاية منها كوسيلة للتفسير والشرح والإيضاح ؛ مثل الصورة المقابلة لقصة "أدب العباس"[٢٧] ، وقصة "سيف الله"[٢٨] ، ففي القصة الأولى كان يمكن توظيف أي ملمح آخر من ملامح البيئة الإسلامية كوسيلة إيضاح ، كصورة المسجد مثلا ، فهو أكثر دلالة على الإسلام والهداية من مجرد وضع صورة بعض المنازل ذات الطابع القديم ، وعدة نخلات متفرقة .

وفى الصورة الثانية كان يمكن الإكثار من صور الجنود وتعدد وسائلهم الحربية التي كانت تستخدم قديما للدلالة على كثرتها ، وهو ما يكشف عن ذكاء خالد بن الوليد ﷺ .

كما أن هذه القصص قد خلت من أرقام الصفحات ، ووضع فهرس لها يتضمن هذه الأرقام وعناوين قصصها الخمس عشرة ، حتى يسهل رجوع الأطفال إلى كل قصة على حدة ، وربما استغنى المؤلفان عن الفهرس ، بما ذكراه من عناوين للقصص في الصفحة الأولي التي تلي الغلاف ، لكنها خلت من أرقام الصفحات بما يخرجها عن كونها فهرسا لهذه المجموعة .

تحليل لنموذج قصصي للأطفال يوظف العلم والتكنولوجيا :

من السلاسل التي يتضح فيها أثر **توظيف الخيال العلمي** ، بناء على مستجدات العلم والتكنولوجيا ، سلسلة " مغامرات الجيل العلمية " التي تصدر في بيروت عن دار الجيل ، وقد صدر عنها حوالي عشرون قصة في هذا المجال ، وهى تعتمد نظريات العلم و منجزات التكنولوجيا ، بغية وصل الأطفال بعصرهم ، بل وتهيئتهم للقرن الحادي والعشرين الميلادي ، وذلك عندما توظف القصة المخترعات الحديثة كالكومبيوتر ، والأقمار الصناعية ، و الصواريخ المتطورة ، و الطائرات التي لا تُرى و نظريات الاتصال الحديثة ، والفيروسات ، و الريموت كنترول وغير ذلك ، عندما يصبح ما سبق مشكلا لجوانب القصة وعناصرها الفنية ، كما سوف يتضح ، مما يساهم في متعة الأطفال ، وزيادة معارفهم العلمية ، وتنمية قدراتهم وذكائهم ، وربطهم بأحدث المتغيرات ، فينشأون قادرين على التعامل مع عصرهم ومتغيراته ، و النهوض بمجتمعاتهم ، وذلك بإثراء خيالهم ، وتهيئتهم ، للإسهام في تقدم حياة أممهم وتطورها وازدهارها ، بتنمية هذه الاتجاهات العلمية لديهم ، وهذا ما يجعلنا ننسب هذه القصة لأدب الأطفال التنموي .

واللغة في هذه القصص بسيطة خالية من التعقيد والتقعر ، كما أن الجوانب التصويرية الجمالية محدودة جدا ، لكن هذه اللغة في الوقت نفسه تكشف عن الجوانب العلمية في يسر وسهولة ، و البناء القصصي متماسك ، وكل ذلك **لأنها توظف المنجز العلمي بلفظه وصورته بإيجاز** ، مما يغنى عن كثرة التفاصيل الفنية و العلمية الدقيقة التي هي فوق مستوى الأطفال وخاصة بالمتخصصين علميا في الوقت نفسه ، من ثم فاللغة هنا قرينة الرسوم الملونة والصور الكثيرة المتعددة ، وكل هذا يعين الأطفال على حسن الاستقبال ، ويسر التمثل ، وسعة الاستيعاب ، والاستفادة ، والمتعة أيضا .

وهذه القصص غالبا ما تناسب مرحلة الطفولة المتأخرة ، لأن العلاقات فيها محدودة وواضحة ، برغم ما تتضمنه من جوانب علميه وتكنولوجية متعددة .

ويمكن خلال تحليل نموذج من هذه القصص ذات الخيال العلمي هو : "**العقل المفقود**"[٢٩] أن نكشف كيفيه توظيف الجوانب العلمية والتكنولوجية في هذه القصة لتحقيق بعض غايات أدب الطفل التنموي .

يتألف " الحدث " في هذه القصة من جانبين متميزين يمثلان ثنائية ضدية ، هما جانب الخير ، وجانب الشر، ويتمثل

أولهما في مجموعة من المواقف التي تضمها المدرسة النموذجية للأطفال الموهوبين ، تكشف عن تميزهم واهتمام المدرسة و الدولة بهم ، ومن القيم الأخلاقية فيها : موقف القدوة الذي يتضح في قول أحد الآباء لابنه : ستكون مثل رائد الفضاء هذا يا بني ، وذلك أثناء مشاهدة ابنه – وهوا أحد طلاب هذه المدرسة – لبرنامج في التلفزيون ، يدور حول رواد الفضاء ، وموقف ثاني لطالب آخر وقد اخترع برنامجا جديدا للكمبيوتر ، وموقف ثالث لتحسن صحة حصان بفضل الغذاء الذي اخترعه له طالب غير السابقين ، وموقف رابع لطالبة تنهى الفصل الأخير في قصة تكتبها ، وموقف خامس لأحد هؤلاء الطلبة الموهوبين ، وقد تغلب على والده في لعبة الشطرنج ، لشدة ذكائه ، ومحصلة هذه المواقف كلها تكشف عما يتمتع به هؤلاء الطلاب من تميز وموهبة و ذكاء ، وتجسيدهم لمستقبل زاهر لوطنهم ، على أساس مقدرتهم ومواهبهم في ضوء هذه المستجدات العلمية و التكنولوجية ، ورعاية الدولة لهذه النماذج المتميزة ، مما يجلي أثرها في تحقيق التقدم ، وحفاظها على ثروتها البشرية واستثمارها الأمثل المستقبلي لها ، ولذلك فيمكن أن نسميها **الدولة الخيرة ، أو كوكب الخير** لأنها لا تبغي شرا لأحد .

بينما الجانب الآخر هو جانب الشر ، فتمثله **دولة الأشرار أو كوكب الشر** ، وهم سبب التغير الذي سوف يصيب

هؤلاء الموهوبين ، فيفقدون نشاطهم العقلي وتميزهم ، نتيجة حرب مدمرة بين هذه الدولة الخيرة ، وكوكب الأشرار ، وتلك "**عقدة**" بسيطة ، يشكلها الصراع بين الخير و الشر .

من هنا يتمثل " **الحل** " في اكتشاف علماء هذا البلد الخير ، أن صاروخا غير مرئي لأنه مطلي بمادة تخفيه – فلا يرى – قد أطلقه سكان كوكب الشر ، يحمل فيروسا يسبب عدم التركيز للأطفال أقل من أربعة عشر عاما ، كما يصيبهم بالضعف الذهني و البدني وفقدان الشهية ، وبذلك تنتهي العقول المفكرة ، وهذا الصاروخ يوجه بالريموت كنترول الذي يتحكم فيه عن بعد بحيث يلقى الفيروس ويعود من حيث أتى .

وقد فعل ذلك سكان كوكب الشر ، حتى لا يغزو كوكبهم أحد اليوم أو في المستقبل ، و أصابوا أطفال مدرسة الموهوبين النموذجية من ثم يكون رد الفعل في بحث علماء كوكب الخير أو المدينة الخيرة عن أسباب ذلك ، وكيفية مواجهته ، و التصدي لهذا الشر و القضاء عليه ، باكتشاف حقيقة هذا الفيروس المدمر و أنه مُخلّق من مخدر خطير و قوي ، بنسبة تركيز عالية جدا ، ولكنهم اكتشفوا فيروسا مضادا له ، كما خططوا لهجوم مضاد كبير ، وفي الوقت الذي كان سكان كوكب الشر يستعدون لمهاجمة دولة الخير ، قامت هذه الأخيرة في الوقت المناسب

بالقضاء على كوكب الأشرار ، و الاستعداد للتصدي لأي هجوم مضاد ، وتمت حماية الأطفال ، وانتصر الخير و الخيرون على الشر و الأشرار .

وهذه النتيجة التي انتهت إليها القصة **تريح الطفل نفسيا** ، خاصة وقد عوقب الشر وتم القضاء عليه ، وهذا جزاء منطقي مقنع و مريح للطفل ، حيث يشبع لديه الميل إلى مكافأة الخير ، ومعاقبة المسيء .

وبرغم اعتماد القصة على العلم و التكنولوجيا ، لكنها مناسبة لأطفال مرحلة الطفولة المتأخرة من [١٢:٩] ، حيث **يمكنهم فهم حدث متعدد العلاقات** ، وهي التقابل بين الخير و الشر أولا ، ثم التماثل بين أفراد كل فريق من هذين الجانبين .

كما تتضح **بساطة هذا الحدث** ، وهو فعل له بداية ووسط ونهاية ، برغم توظيف القصة لكثير من المخترعات و النظريات العلمية ، مثل الكمبيوتر ، وأثر الغذاء في النمو ، والذكاء ، والريموت كنترول ، وحرب الجراثيم ، و الصواريخ التي لا ترى ، وأهمية التخطيط في التصدي للأعداء و القضاء عليهم ، وكلها ملامح ووسائل علمية حديثة ، يمكن لطفل هذه المرحلة المتأخرة من الطفولة أن يتصل بها و يتمثلها ، على هذا النحو الذي أوردته هذه القصة .

بالإضافة إلى أن **الترابط بين أجزاء الحدث منطقي وفني:** منطقي لأن مرض الطلاب الموهوبين يستدعي اللجوء إلى الأطباء ، وبحث العلماء عن سبب مرض وسوء حالة هؤلاء التلاميذ ، لعلاجهم والمحافظة عليهم ، ومقاومة الخيرين للأشرار للرد على اعتداءاتهم ، والتحصن ضدهم ، والقضاء عليهم . أما فنية الترابط فتتمثل في نمو الحدث نفسه ، والانتقال من المرحلة المعلومة إلى المرحلة المجهولة التي تليها منه ، مما يحقق التشويق الذي يجتذب الطفل ويرضى لديه الرغبة في المعرفة .

وبرغم تعدد الأماكن إلا أن **كل مكان مناسب كبيئة للموقف** والفعل الذي يتم فيه ، مما يجعل الطفل يتقبله ، ولا يجد صعوبة في تمثله ، خاصة وهي بيئات قريبة منه فكريا أو ماديا : كالمدرسة و المعمل و المنزل و الكوكب .

واللغة المستخدمة مناسبة ، تساعد على التمثل و الاستيعاب ، فهي تتميز بقصر جملها ، وعدم الاستطراد ، أو التقديم المخل ، أو الاعتراض الذي يعوق المتابعة أو يعطلها ، وتوظيف علامات الترقيم بطريقة سليمة كما في ص ٦ ، ٧ مثلا ، والجمل بصفة عامة برغم قصرها فهي غالبا ما تمثل موقفا ، وتُقدِّمُها القصة متتابعة في لقطات ، وترتبط كل لقطة بصورة

معها توضحها ، وبذلك تحقق الجملة غايتها من التوصيل بأسرع ما يمكن ، نتيجة **الجمع بين هذا النص و الصورة معا** ، بل قد يزداد عدد الصور على عدد الجمل مما يوسع من مجال الاستفادة و التوصيل و سهولتهما .

كما أن هذه **الصور ملونة غالبا** ، مما يضاعف من قدرتها على جذب انتباه الأطفال و التأثير فيهم بالفكرة .

بالإضافة لما سبق تتميز هذه القصة **بدقة رسم شخصياتها** ، سواء عن طريق الرسم فى الصور ، أو الملاءمة بين الشخصية وما تقوله ، فوزير الجيش هو الذي يأمر بالهجوم ، ومدير المدرسة هو الذي يتحدث عن حالة التلاميذ ومستوياتهم ، وذلك مما يقنع الطفل بالشخصية ، ويساعد على تمثله لها و الاتصال بها .

كما أن هناك بعض **العناوين المعينة على الفهم و المتابعة** مثل ص٢ ، ص١٤ ، ص١٦ ، ص١٨ ، ص٣٠ وهي عناوين غالبا ما تشير إلى مكان الحدث و الحديث ، وقد توحي بجوانب التضاد الفنية فى القصة .

مسرحية "النهر" لسليمان العيسى [٣٠]

ووسائل تحقيقها لبعض قيم أدب الطفل التنموي

مدخل :

إن اللغة المستخدمة في أدب الأطفال بصفة عامة لابد أن تكون لغة بسيطة سهلة ، وهي مما يستخدمه الطفل أو يسمعه في بيئته ، أو على الأقل هذا هو الغالب عليها ، لأنها في الوقت نفسه لابد أن تزوده بمفردات جديدة ، لتنمية محصلته اللغوية ، وإثرائها .

ومعنى بساطه اللغة خلوها من المفردات الصعبة المعنى ، أو الثـــقيلة في النطق ، أو على السمع ، ولا تكون بعيدة عن مداركه . وجملها قصيرة ، أطرافها متقاربة ، خالية من الاعتراضات المخلة ، أو التقديم و التأخير الذي يصعب إدراكه ، ويلبس المعنى ، وهي لغة تستخدم علامات الترقيم بصورة مفيدة صحيحة .

كما أنها لغة جميلة ، لتصقل حسه الجمالي ، وتنمي ذوقه الفني ، إذ تتضمن الصورة التعبيرية ، التي تستمد مكوناتها من واقع الطفل ، وما يتصل به ، و العلاقات بين أطراف هذه الصورة بسيطة واضحة ، قريبة من مستواه المعرفي ، وإدراكه الجمالي حتى يتفاعل معها ، وبرغم أن "التكرير" وسيلة بلاغية

لتأكيد الفكرة ، وسلامة عرضها ، وهو ينتمي إلى أحد علوم البلاغة الثلاثة هو علم المعاني ، وإلى أحد فنون هذا الأخير وهو الإطناب ، لكن "التكرير" بمستوياته المختلفة ، يمكن أن نعده في الوقت نفسه ، من أهم الوسائل الفنية التي يعتمد عليها "أدب الطفل التنموي" – فيما يعتمد – وذلك لتنمية التوجهات السوية عند الأطفال كحب الوطن و الإخلاص له ، وغرس كثير من القيم الجديدة التي أصبحت تتطلبها الحياة بصورة ملحة : كالمحافظة على الوقت ، و التعاون الجماعي ، وغيرها ، بالإضافة إلى أثر هذه القيم في تشكيل مستقبل الأطفال تشكيلا سويا نافعا .

ويضاف إلى ما سبق ما للمسرح من الوسائل الفنية التي يتميز بها عن غيره من فنون الأدب ، فإلى جانب ما يتضمنه من عرض للأحداث ، يجعلها تتجسد خلال تقديم الشخصيات لها على المسرح ، متحركة ، باثة في كلماتها الحيوية و النشاط و الفاعلية ، فإن الحوار وهو عصب المسرحية يضاعف من إحساس الطفل بهذه الحيوية و النشاط و الفاعلية ، عندما تصل الكلمات إلى سمع الطفل حاملة شحنات من الفكر ، لتستثير لدى هذا المتلقي الصغير كثيرا من التجاوب و الانفعال ، و الاتصال بالقضايا المطروحة للمعالجة ، و التي تجسدها حركة الممثلين المرئية على خشبه المسرح ، وهكذا يوظف المسرح أكثر من

مساحة ليتحقق التماثل الدلالي لدى الطفل لكثير من جوانب النص المسرحي المعروض .

بل إن طريقة عرض الشخصيات ، ودقة تمثيلها للفكرة ، دقه تمثلها لها أيضا ، و التلاؤم بين فعل الشخصية المسرحية وما تقدم من قضايا و أفكار ، وما تكشف عنه من آراء ، ليقربها من الطفل ، وييسر عليه الاندماج معها ، و بالتالي التأثر بما يريده الكاتب من قضايا وقيم وأفكار و أنواع سلوك سوية ، سواء لتثبيتها في نفس الطفل ، أو تنمية الإحساس بها لديه ، لتشكيل مستقبله تشكيلا سويا صحيحا .

ووجود المكان و الزمان المناسبين ، لأجزاء الحدث ، ووضوح العلاقات في هذا الحدث و تحديدها فكريا ، بحيث لا تتجاوز مستوى المرحلة السنية للأطفال ، الذين يقدم لهم النص المسرحي : كل ذلك مما يهيئ الطفل لحسن التمثل ، و الفهم و الاستيعاب ، فإذا ما أضفنا إلى ما سبق كون الشعر بموسيقاه هو الإطار الموظف لتشكيل النص المسرحي ، أدركنا ثراء هذا النص ، وأدركنا أيضا مدى التأثير فيهم نتيجة اجتماع : الفكرة ، و الصوت ، و الحركة ، و النغمة ، و الصور الشعرية المكثفة القريبة من مستوى الأطفال .

عرض و تحليل للمسرحية :

وتتألف مسرحيه " النهر " من خمسه مشاهد في الأول منها يعرض الكاتب لمعظم شخصياتها وهي كثيرة متنوعة : النهر – الأطفال – مروان – البطات – الصفصافة – الكناري – البطة – الأرنب – الرجل الغريب – شجرة التفاح – العصفور الغريب – سرب النحل ، وإن كانت الأربعة الأخيرة قد بدأ ظهورها بالتدريج منذ الفصل الثاني حتى الخامس الذي ظهر فيه سرب النحل .

وكثرة الشخصيات يمكن أن تعوق الطفل عن التمثل و الفهم والاستيعاب ، لكن وضوح العلاقات بينها ، وتحديدها في بنية المسرحية ، هو العاصم من الإعاقة ، وهنا سوف نجد النهر ، ذلك المجرى المائي العذب الرقراق ، يتسع ليكون مصدرا للشرب فيروى الظماء ، من طيور وحيوانات ونبات وبشر ، كما يكون مرتعا للعب من يسبح فيه كالأطفال ، و البط ، وهكذا يتسع صدر النهر لتأوي إليه كل الشخصيات ، في تآلف وتواد وتعاطف ، برغم ما قد يكون بين بعضها وبعض من تنافس ، من ثم فهو رمز للحب الفياض ، و الصفاء الذي لا يتكدر ، و العطاء الذي يتدفق ولا ينقطع ، وتلك قيم أخلاقية ما أحوجنا إليها

، ليس فقط لغرسها في و جدانات أطفالنا ، بل لتنمية إحساسهم بها ، حتى يشبوا عليها .

وسوف نجد لغة الشاعر مجسدة كل ما سبق ، وبصورة تناسب الأطفال ، حيث نجد الجمل القصيرة البسيطة المتناغمة ، المتتابعة في يسر وسلاسة ، فلا تباعد بين أطرافها ، حتى ليسهل غناؤها على الأطفال ، وكأنني بالشاعر قد كتب هذا النص من أجل ذلك فعلا[٣١] ، و الصورة البيانية الواضحة الجميلة برغم بساطتها ، واتصالها بحياة الطفل ، وعينيات واقعه المعيش ، فمكوناتها ليست بالبعيدة عنهم ، أو الغريبة عليهم ، مما يسمح للطفل بتذوقها ، وإسهامها في صقل وتنمية ذوقه وحاسته الجمالية في الوقت نفسه ، وهنا يأتي دور "التكرير" كظاهرة فنية يوظفها الشاعر هنا خير توظيف لتحقيق هذه الغايات التي هي من صميم "أدب الطفل التنموي" ، وذلك خلال هذا النشيد الذي يكرره النهر ، وسوف نجد التكرير فيه على مستوى الأصوات ، و الكلمات والجمل :

مثل عين الديك مائي

مثل ذرات الضياء

أنا نهر الحب

أنا فيض القلب

صافيا أنساب

رائعا أنساب[٣٢] .

وهكذا يتجاوب الأطفال و النهر ، حتى لينادونه بهذا النداء الحبيب إليهم و إلى النهر على حد سواء ، و الكاشف عن عذوبتهم ورقتهم جميعا أيضا :

يا نهر الأطفال

يا نهر الأطفال

وهو نداء يتكرر خلال المسرحية كثيرا لتأكيد هذا الاتصال ، وذلك التجاوب .

بل إن هذا التجاوب ليتسع ليضم إلى النهر و الأطفال البطات ، وشجرة الصفصاف و الكناري والأرنب ، وهم يمثلون الجانب الخير في المسرحية .

لكن الشيء اللافت للنظر هوا الصور البيانية الجميلة التي يثرى بها الشاعر نصه الدرامي ، عندما يجسد أخلاق النهر ، ومظاهر عطائه ، وهى صور قريبة من الأطفال لغويا وفنيا ، لأنها مستمدة من حياتهم ، وما بين أطرافها من علاقات بسيطة واضحة ، كما أنها مختارة بعناية ، لتشكل من المشاعر

والمعاني ما يستطيع أطفال المرحلة المتأخرة من الطفولة (٩-١٢ سنه) إدراكه بيسر لاتصال مكوناتها بحياتهم :

مما يقوله الأطفال للنهر:

- يا كنز الحقول (ص٥١)
- نهرنا فنان (ص ٥٢)
- أنت نشيد الأرض الأخضر (ص ٥٤)

ومما تقوله الصفصافة للنهر:

- أحنو عليك والتوى
- ومن العذوبة أرتوى (ص ٥٩)

ومما تقوله البطات للنهر :

- صدرك يا نهر الأفراح (ص ٦٠)

ومما يقوله الجميع للنهر :

- ينبت في شفتيه الورد (ص ٦٤)

ومما يقوله النهر للأطفال :

- تغسل الشمس بمائي
- خدَّها عند السماء (ص ٥٣)

و عن الصفصافة :

- أسبلي أغصانك الخضر النضيرة (ص ٥٨)

بل إن **المشهد الأول** كله تسوده مثل هذه الصور الرقيقة الجميلة ، وتهيمن عليه مفردات تفيض رقة وعذوبة ، وتكشف عن خيرية هؤلاء الخيرين : النهر ، والأطفال ، والبطات و الصفصافة و الكناري والأرنب .....

وفى **المشهد الثاني** تظهر شخصية الأرنب خائفا قلقا ، جاء يبلغ الجميع بخبر ذلك الصائد الإنساني الذي سوف **يمثل جانب الشر** في هذه المسرحية ، في مقابل جانب الخير الذي يمثله النهر ورفاقه ، وسوف نجد الشاعر يحقق التلاؤم بين الشخصية و ما عرف عنها لدى الأطفال ، مما يجعل قبولهم لها سهلا ، وتعاطفهم معها أو نفورهم منها ممكنا ، ومنطقيا في الوقت نفسه ، حسب توظيف الشاعر له .

فالأرنب مثلا يمكن أن يعيش في الحقول وبين الشجر ، ولا يطعم إلا العشب الطري ، يقول الأرنب عن نفسه :

- كنت عند المنحدر
- أقضم العشب الطريا
- ناعم البال ، خليا[٣٣] .

أما الصياد الذي سوف يكدر صفو هؤلاء الرفاق ، و "يحول" سعادتهم إلى شقاء عندما يفرض سلطانه على النهر ، ولا يسمح لحد من هؤلاء الرفاق بالشرب منه إلا إذا دفع دينارا من ذهب ، فسوف نجد كل صفاته تجسيدا للقسوة و الغدر ، ويصور الشاعر ذلك بصورة قريبة من مدارك هؤلاء الأطفال ، الذين أشرنا إلى أن المسرحية تناسب سنهم وهم من (٩ –١٢ سنة) ، حيث توضح الصورة غربته مقترنة بالظلام ، مما يستثير الغموض حوله ، و النفور منه في نفوس الأطفال ، وعبوسه مقترنا بالغدر ، وصلابته مقترنة بالصخر ، فإذا ما اتصل كل ذلك بطول بدنه .....: كان ما سبق كافيا لإبرازه في صورة منفرة مخيفه مقلقة ، تتناسب وكونه مصدرا للشر ورمزا له ، فى مقابل سهولة النهر وعذوبتة وسلاسته وخيره الدافق للجميع .

يقول الأرنب واصفا له :

"– فجأة خشت ورائي قدم

- وإذا وجه غريب مظلم
- عابس كالغدر
- يابس كالصخر
- كان عملاق البدن

- وبدا لي عندما حدقت ،
- مجهول الوطن
- تضرب الأرض خطاه
- سيفه تقطر موتا شفرتاه[٣٤] .

ومن ثم بدأ يتحدى الجميع ويفرض عليهم إرادته و مشيئته ، و أجبرهم على الابتعاد عن النهر ، وهكذا يتشكل "**الصراع** " بين الخير ممثلا في النهر ورفاقه ومرتاديه ، و الشر ممثلا فى هذا الغريب الوافد المتسلط القاسي ، الذي بدأ الجميع يتكتلون ضده ، و إن لم يعلنوا موقفهم ، لكنهم تجمعوا بعيدا عن النهر في أعماق الغابة استجابة لأمر هذا الغريب الظالم[٣٥] للتفكير في كيفية مواجهته والخلاص منه .

وفى هذا الفصل بدأت اللغة الموظفة تتحول من الرقة والعذوبة إلى الخشونة ، ويسودها "القلق و الاضطراب و الرعب و الخطر والشر و الهجوم والتحدي" ، وغير ذلك من المفردات كاشفة عن التحول من الأمان والاستقرار إلى هذا القلق و الرعب ، لظهور هذا الإنسان الظالم المغتصب ، لكن ذلك لم يُخفِ جمال الصور الشعرية التي وظفت للكشف عما سبق . وهنا يجب أن نشير إلى أن جمال الصور اتجاه فني ، يتصل بالكشف عن القيمة الجمالية حتى ولو كانت المفردات الموظفة

ذات دلالات توحي بالرعب والقسوة والشر ، ولا تعارض بين هذين الجانبين ، بل العكس هوا الصحيح ، إذ يتآزر تشكيل الصورة مع الدلالة ويسهم في إبرازها والتأثير في المتلقي ، ويمكن أن نتأكد من ذلك بملاحظة النص السابق الذي يصور فيه الشاعر هذا الإنسان الظالم المغتصب المستبد .

- ثم يأتي **المشهد الثالث** يتكشف فيه "**رد الفعل**" ممثلا في حرص الجميع على هذا النهر وتمسكهم به ، فلا حياة للبط بدونه ، ولا حياة للكناري بدون مائه ، بل إن إعلان شجرة الصفصاف تمسكها هي وبقية الرفاق بهذا المكان الذي تربوا فوق ضفتيه ، ونموا على مائه ليعد "**رمزا**" **للتمسك بالوطن** ، ولكن هل بإمكان الأطفال إدراك هذا الرمز حتى يحقق هذا النص غاية من غايته ؟ وهى غرس حب الوطن في نفوس الأطفال وتنمية ذلك الإحساس في نفوسهم .

الواقع أن التشكيل اللغوي لهذا الرمز أيضا في مستوى أطفال مرحله الطفولة المتأخرة ، فالصور المشكلة له ، ليست مكوناتها بالغريبة عليهم ، ولا تركيبها يغمض عليهم فهمه واستيعابه ، كما يسمح لهم خيالهم بادراك أبعاد هذه الصور ، التي تدور حول صلة الإنسان بوطنه وملكيته لأرضه التي نشأ عليها ، ونمت حياته فوقها ، وارتبطت آماله وأحلامه بها ، حتى صار هذا الإنسان جزءا من ذلك الوطن .

تقول الصفصافة :

- "النهر للجميع
- بمائه الوديع
- لمن تربوا فوق ضفتيه
- ولونوا أحلامهم عليه
- جذورنا في قاعه
- ونحن من أضلاعه"[٣٦] .

وهكذا ينتهي هذا المشهد وهم عازمون على التصدي لهذا الغريب السارق ومن ثم يتوجهون إليه .

ويكشف **المشهد الرابع** عن جانب آخر من الصراع يتمثل في محاولة المحتاجين إلى ماء النهر التوسل إلى هذا المغتصب حتى يأذن لهم بالشرب منه ، خاصة وقد بلغ بهم العطش أشده ، وقدموا له ما في استطاعتهم ، لكن شيئا من ذلك لم يحقق غايته ، وهو لا يريد إلا .. المال .. الدينار .. الذهب[٣٧] ، الذي استولت عليه الرغبة فيه ، بل لقد تضاعف تهديده لهم بالسيف محذرا كل من يقترب من النهر ، وهم في الوقت نفسه لا يستطيعون أن يقدموا له ذهبا .

بل إن عصفورا غريبا سقط على ماء النهر يروى ظماه الشديد ، ولم يكن يعلم بتهديد الغريب المتسلط ، فأنزل به عقابه

وقطع رأسه بسيفه على مرأى ومسمع من الطيور و الأطفال و النهر والأرنب والصفصافة ، حتى إنهم جميعا صرخوا في وجهه ، مقررين أنه مجرم أثيم ، مما ضاعف من إحساسهم بوجوب التصدي له و التخلص منه ، ولكن كيف ؟ تلك هي "**عقدة**" المسرحية ، وهى عقدة بسيطة جدا ، تتناسب فنيا و فكريا مع مستوى الأطفال لأنها تتشكل من علاقة أحادية بين النهر وأصحابه وذلك الغريب السارق المتسلط .

هكذا يأتي **المشهد الخامس** كاشفا عن "**الحل**" وهو الحل بسيط أيضا ، جاء نتيجة تصاعد الحدث ، ففي الوقت الذي اشتد فيه تصميم الجميع على الانتقام بعد مقتل العصفور الغريب ، إذا بسرب من النحل يصل إلى هذا المكان بحثا عن الماء بعد أن ضاقت بجفاف الأزهار التي جف رحيقها بحبس الماء عنها ، حتى إن هذا السرب أطلق هذا العصفور الغريب ، للبحث عن سبب هذا الجفاف ، وما إن علم السرب بمقتل هذا العصفور حتى تآزر الجميع في مواجه هذا السارق المتسلط الذي تحطم أمام اتحاد الطيور والغابات والأشجار وأسراب النحل ، في حركة فدائية زاحفة مهاجمة قضت عليه[٣٨] .

ويمتد الرمز هنا ويتسع ليوحي بموقف المظلومين والمحرومين في كل مكان ، وانتصارهم على ظالميهم و

مغتصبيهم ، وأن هذا الأمر ليس أمر نهر وطيور وأطفال وإنما هو موقف الإنسان من ظالميه في كل مكان وزمان ، ووجوب التخلص من الغاصبين والمحتلين وقد وضح ذلك على لسان الصفصافة وهى تدعو بأعلى صوتها للتصدي للغاصب :

- (أشجار الدنيا معنا
- غابات الدنيا معنا
- كل المحرومين
- كل المظلومين
- في هذه الدنيا معنا) [٣٩] .

وهكذا **تنتهي المسرحية** بانتصار الخير وهزيمة الشر وعقابه ، وهي نهاية تريح **الأطفال** نفسيا ، إذ تشبع لديهم الرغبة في مكافأة الخير ، ومعاقبه الشرير ، بالإضافة إلى أنها نهاية منطقية ، يساعد تقبلهم لها على غرس القيم التي تدعو إليها المسرحية في نفوسهم ، مثل حب الوطن ، و الحفاظ عليه ، و التعاون الجماعي ، ومساعدة المحتاجين و الظالمين ، بل وتنمية الإحساس بهذه القيم في نفوسهم ، وذلك مما يحرص عليه "أدب الأطفال التنموي" .

وقد تأكد مما سبق بفضل ذلك الشكل الدرامي البسيط لوضوح العلاقات فيه ، كما كانت الصياغة الفنية من تكرار

متنوع ، وصور فنية قريبة ، ولغة سهلة ملائمة داعمة لتحقيق هذا النصر للغايات المنوطة به .

برغم ذلك فلهذه المسرحية **عدة جوانب سلبيه** لعل في مقدمتها كثرة الشخصيات ، فشخصية مروان يمكن الاستغناء عنها ، وليس لها دور فاعل في بناء المسرحية ، بالرغم من ورودها في أكثر من موضع في المسرحية ، كما في الصفحات [٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٧] ، فدور مجموعة الأطفال يغنى عنها .

وإذا كنا نحث على التوظيف الفني لنتائج العلم والتكنولوجيا في القصص التي يقدمها "أدب الأطفال التنموي" ، فإن ذلك يعنى أن تصبح نتائج العلم والتكنولوجيا جزءا من بنية القصة تسهم في تشكيلها الفني كما في قصة "العقل المفقود" التي سبق أن أشرنا إليها ، لكن الحديث عن الصعود إلى القمر جاء في الفصل الأول من هذه المسرحية لمجرد الكشف عن شيء غريب يحدث ، دون أن يسهم هذا الحديث في بناء المسرحية ، ونموها ، بحيث إن الاستغناء عنه ، وحذف هذا الحديث حوله الذي تم بين مروان والنهر لا يمس فنية المسرحية ، ولا يقلل من تحقيقها للأهداف المنوطة بها .

كما أن هناك بعض المفهومات الدينية التي يجب أن نقدمها للأطفال بصورة صحيحة ، تثبت العقائد ، ولا تهزها ، بمفهوم القدر مثلا ، يجب أن يفهمه الأطفال على انه إرادة الله ﷻ النافذة طبقا لمشيئته و إرادته ﷻ ، وعلى الإنسان المؤمن الصحيح الإيمان أن يسلم بذلك ، ويثق في فعل الله سبحانه وتعالى ، ويؤمن بالقدر ، أما أن يقول الشاعر على لسان النهر ورفاقه في الفصل الثاني ، وهم يحثون الأرنب و البطة على العناق و التصافي ، تمهيدا لمواجهة خطر هذا الإنسان الظالم المغتصب :

"ولنواجه بتآخينا القدر"

فأتصور أن وضع كلمة الخطر مكان القدر أفضل وأنسب ، حتى لا يضطرب فهم الأطفال للقدر ، وتستقر معتقداتهم استقرارا صحيحا ، خاصة حول مفهوم القدر .

الخاتمة

أرجو أن تكون فكرة " أدب الأطفال التنموي " قد اتضحت من خلال الجانب التنظيري الذي ناقش أهم محاور هذه الفكرة وهي : الصحوة الإسلامية , واستثمار نتائج العلم والتكنولوجيا , والثقافة التنموية والقيم الجديدة .

كما أرجو أن تكون النماذج التطبيقية من قصة ومسرحية قد كشفت عن كيفية تجسيد هذه المحاور في أدب الأطفال التنموي .

ولعل من أهم الملامح التي يمكن أن يتميز بها هذا الأدب اهتمامه بمستقبل الطفل وتهيئته لمواجهة المتغيرات بفاعلية ونجاح , حتى يواجه القرن القادم وهو القرن الحادي والعشرين , وهو ما يميز نماذجه الأدبية عن غيرها التي تهتم بحاضر الطفل غالبا .

وكذلك تدخل الكاتب وتوجيهه للحدث في القصة أو المسرحية الوجهة التي يراها مؤثرة في الأطفال , برغم أن ذلك قد يعد عند بعض النقاد خروجا على الحيدة التي يجب أن يلتزم بها كاتب القصة أو المسرحية , لكن هذا التوجه , وذلك التوجيه في الوقت نفسه بالطريقة التي بها في النماذج المعالجة هنا , لا أتصور أنه يقلل من فنية الأعمال التي ظهر فيها , ما دامت قد حققت هذه الأعمال الغايات الفنية والفكرية والمستقبلية المنوطة بأدب الأطفال .

كما مثل التكرير بمستوياته المختلفة ملمحا فنيا آخـــر تعـــتمد عليه النماذج الأدبية التي تمثل هذا الاتجاه .

هذا بالإضافة إلى الوسائل الأخرى التي كشف عنها التحليل للنصوص المختلفة .

وأرجـــو أن يحظـــى هـــذا الاتجـــاه باهتمام الحريصـــين علـــى مســـتقبل الـــوطن وأطفاله , وأن تتعاون جهود أخرى مع هذا الجهد المتواضع لاستكشـــاف أبعاد جديدة " لأدب الطفل التنموي " موضـــوعيا وفنيا , رعاية لأطفالنا , وخدمة لديننا وأمتنا .

والله من وراء القصد , وهو الهادي إلى سواء السبيل

* الهوامش :

(١) انظـر د. إحسـان عباس كتاب العربي (٢٤) القصة العربية أجيال .. وآفاق ٨٩/٧/١٥ - ص٩

(٢) السابق نفسه ص١٦

(٣) انظـر د. عـبد المحسـن طه بدر الرؤية والأداة - ط٣ دار المعارف - القاهرة - المقدمة

(٤) انظـر د. محمـد رجب البيومي - أبو الحسن الندوي سيرة ذاتية

(٥) أبو الحسن علي الحسني الندوي قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال , نشر مؤسسة الرسالة إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية , العدد (٤) ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م - ص٨٢

(٦) السابق نفسه وصفحة ٨٣

(٧) انظـر المعجـم الوسـيط ج١ مجمع اللغة العربية , المكتبة العلمية طهران - ص١٩٠

(٨) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص٨٣

(٩) انظر د. غسان يعقوب " تطور الطفل عند بياجيه " دار الكتاب اللبنانـي . بيروت ١٩٨٢م - ص٨١ وكذلك انظر للمؤلف : الـنص الأدبـي للأطفـال ط١ إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م - ص٣١

(١٠) السـابق نفسه والصفحة نفسها , وكذلك قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص٨٣

(١١) سورة الصافات آية ١٧٢, ١٧٣

(١٢) قصص من التاريخ الإسلامي - ص٩٠

(١٣) السابق نفسه - ص٩٧

(١٤) السابق نفسه والصفحة نفسها

(١٥) السابق نفسه - ص١١٤

(١٦) انظر قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص١٣ , وكذلك انظر سورة يوسف آية (٦٤)

(١٧) انظر السابق نفسه والصفحة نفسها

(١٨) انظر على سبيل المثال القصص التالية في هذه المجموعة : المضيف الجائع ص٢٠ , شهامة اليتيم ص٣٣ من دون أحد ص٤٥ , علـى الخشـبة ص٦١ , رسالة إلى رسول الله ﷺ ص٨٢ , الغـرم بـدل الغـنم ص٨٥ , رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس

(١٩) ص٩٠ , قدر الشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه ص٩٦ , لا حاجـــة إلى ذكر اسمي ص١٠٥ , جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس ص١١٤

(٢٠) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص١٥

(٢١) سورة التوبة , آية (٤٠)

(٢٢) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص١٤

(٢٣) السابق نفسه ص١٦, ١٧

(٢٤) انظر ذكاء الحر : الطفل العربي وثقافة المجتمع , دار الحداثة – بيروت لبنان ط١ سنة ١٩٨٤م ص٤٧ وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال ص٣٨

(٢٥) انظر على سبيل المثال الصفحات : ١١٧, ١٢٤, ١٢٥

(٢٦) انظـــر : الـــنص الأدبي للأطفال . إصدار ونشر رابطة الأدب الإســـلامي العالمية ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م . ط دار البشير . عمان , الأردن ص٣٢

(٢٧) السابق نفسه ص٣٦

(٢٧-٢٨) انظـــر: محمـــد محمود القاضي . وأسماء صلاح الدين , ذكاء الصحابة , سلسلة الأذكياء-أطفالنا) مشروع الإنتاج الإعلامي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ١٩٩٥م

(٢٩) عفاف عبد الباري . مغامرات الجيل العلمية . العقل المفقود . دار الجيل – لبنان – بيروت (ب ت)

(٣٠) سليمان العيسى . النهر . منشورات وزارة الثقافة السورية . دمشق ط١ سنة ١٩٧١م مسرحية شعرية غنائية للأطفال

(٣١) انظر السابق نفسه ص١١ : ص٣٣

(٣٢) انظر على سبيل المثال ص٤١, ٤٢, ٤٣ من المسرحية نفسها

(٣٣) السابق نفسه ص٧٥

(٣٤) السابق نفسه ص٧٦

(٣٥) السابق نفسه ص٩٥

(٣٦) السابق نفسه ص١٠٢

(٣٧) انظر السابق نفسه ص١٢٠, ١٢١, ١٢٥

(٣٨) انظر السابق نفسه ص١٣٨

(٣٩) السابق نفسه ص١٣٤

(٤٠) انظر السابق نفسه ص٤٩, ٥٠

(٤١) السابق نفسه ص٨٠

الفصل الثاني

الخيال

في أدب الأطفال

الخيال في أدب الأطفال

(الصور المجازية)

يحاول هذا البحث تتبع أثر الخيال في أدب الأطفال خلال عدة محاور أولها : البحث في مفهوم الخيال للوصول إلى المحور الثاني ، وهو كيفية توظيف الخيال في مجال الأدب ، ثم المحور الثالث تحديد أنواع هذا الخيال بالنسبة لأدب الطفل ، ومناقشة نوع واحد وهو "الصور المجازية" من حيث الأسس النفسية لها ولتأثيرها في الطفل ، ثم تحليل نصين-أحدهما قصصي والآخر شعري ، لبيان أثر الخيال في تشكيل هذه الصور ، ومردود ذلك على تنمية شخصية الطفل بأبعادها المتعددة.

أولاً: مفهوم الخيال وأنواعه:

لقد تعددت مفهومات الخيال بناء على تصورات المفكرين ، فهناك من يعتبره مقابلا للواقع والحقيقة ، من ثم فهو أقرب لديه إلى الوهم والظن ، وربما كان ذلك من معاني الخيال اللغوية [١] ، وقد وجدنا بعض علماء النفس مثل جزل وجان بياجيه ، يصفون الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة بأنه لا يفرق بين الخيال والحقيقة ، وقد يجد صعوبة في التفزيق بينهما [٢] .

بينما هناك من يتجه به وجهة علمية معرفية اصطلاحية عندما يعرفه بأنه " التفكير بالصور ، على حسب طرق فنية تختلف من مذهب فني لمذهب فني آخر" [٣] ، وبذلك تتعدد هذه الطرق بين المذاهب الأدبية المختلفة من كلاسيكية إلى رومانسية وغيرها .

وهناك من المعاجم المتخصصة من يعرف الخيال بأنه "ملكة من ملكات العقل، بها تمثل أشياء غائبة كأنها ماثلة حقا لشعورنا ومشاعرنا" [٤] ، فهو وسيلة لاستحضار الماضي وذكرياته.

كما يجعله مرادفا "للمخيلة" عندما يقول : "مخيلة" هي الخيال ، أي الملكة المولدة للتصورات الحسية المادية الغائبة عن النظر ، وهى على نوعين : إما أن تستعيد الصور التي شاهدها صاحبها من قبل ، وتسمى عندئذ المخيلة المتذكرة أو المستعيدة ، أو تعتمد صورا سابقة فتولد منها صورا جديدة ، وتسمى عندئذ المخيلة الخلاقة:-

أ- المتذكرة أو المستعيدة: هي في واقعها تشبه الذاكرة التي تستحضر صور الأشياء ، غير أن الذاكرة هي أكثر سكونية وتمركز الأحداث في المكان والزمان ، وتحتفظ بها إلى وقت الحاجة ، في حين أن المخيلة المستعيدة

هي أكثر دينامية ،فتثير الصور محررة من التمركز في الإطارين المكاني والزمان.

ب- الخلاقة: تبنى من ركام الصور المحسوسة المتراكمة في الذاكرة عالما جديدا في نسق مثالي إمكانات لا تنضب . فإذا عنيت بالعالم الحقيقي تزيد في إغنائه ، فهي إذا ملكة ابتكارية شائعة في الفنانين ، والعلماء وكبار القواد والسياسيين والمتصفين بالأذهان النيرة والأدبية ، وهى منطلق الاكتشافات والاختراعات منذ أقدم الأزمنة إلى الوقت الحاضر" [٥].

والمخيلة والتخييل ؛ هي المصطلحات التي تعنى الخيال وتتصل به عند فلاسفة النقاد في نقدنا التراثي كابن سينا وحازم القرطاحنى ، فابن سينا يعرف التخييل بقول: والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس ، فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسيا غير فكرى سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق"[٦] .

ونجد فكرة الانبساط والانقباض عند المتلقي نتيجة لتأثير التخييل فيه عند حازم القرطاجنى أيضا وهو يتحدث عن مستويات المعاني[٧] ، وإن كان حازم لا يتوقف عن حدود الصورة بفعل الخيال ، وإنما يتجاوز ذلك أيضا إلى فعل الخيال

في اللفظ والمعنى والأسلوب ، والنظم والوزن ، بل ويشير إلى بعض الجوانب السابقة التي وجدناها في التعريف الحديث السابق في "المعجم الأدبي" ، وذلك عندما يقول :" والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها ، أو تصور شئ آخر بها انفعالا من غير رويَّة إلى جهة الانبساط أو الانقباض".

ومن هذا ندرك أثر التخييل في النفس ، وما يترتب عليه من انفعال نفسي تجاه الموضوع أو القضية التى تتضمنها المقولات الشعرية ، قبولا أو رفضا ، حسب ما يبتغى الشاعر ، وما يريد بخياله أو تخييله ، وبناء على ذلك يمكن أن ندرك مدى تأثير الخيال في أدب الطفل في نفس الطفل أيضا ، إذا روعي فيه ما سوف نشير إليه بالتفصيل فيما يلي ، برغم أن نقادنا التراثيين لم يكونوا يتحدثون عن أدب الطفل ، فلم يكن مثل هذا الأدب معروفا لهم بالدرجة نفسها والمستوى نفسه الذي نتعامل به معه اليوم ، لأن كثيراً مما كانوا يعتبرونه للكبار في هذا المجال كان يقدم للأطفال أيضا ، وهنا يجب أن لا ننسى نصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآباء بأن يُرَوُّوا أبناءهم الشعر.

لذلك يمكن أن نقول إن الخيال قوة فكرية يحتاجها الكبير والصغير كي يتجاوز الواقع ، ويواجه مشكلاته ، ويسبر غور حياته ، ومن ثم فهو يسهم عند الأسوياء من البشر في رسم طريق واضح ، قد يهدى إلى نظرية علمية عند العلماء ، أو إلى عمل أدبي عند الأدباء ، أو تصور لسلوك حياتي سوى عند غيرهم ، كل حسب المجال الذي يتصل به ، وهكذا تتعدد وتتنوع ألوان الخيال ؛ فهناك الخيال الأدبي الذي لا يستغنى عنه الشاعر أو كاتب القصة ، أو المسرحية أو المقالة ، وغيرها من الأشكال الأدبية ، وهو يعالج همومه واهتماماته ، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة ، وهناك الخيال العلمي ، الذي نجده عند العلماء وهم يتصورون علاقة الإنسان بالحياة ومتغيراتها ، ويبحثون سبل تقدمها . بل إن هذه الرؤى قد تكون عند البشر بصفة عامة ، وهم يوظفون الخيال فيتعدد بتعددهم [٨] ، ويتنوع بتنوع حرفهم وتفكيرهم في الحياة ، وطبيعة البيئة التي يتصلون بها ، من ثم فهناك الخيال السياسي ، والخيال الطبي ، والخيال العسكري ، والزراعي ، وهكذا .

وأتصور أن هذين الضربين الأولين من الخيال : وهما العلمي والأدبي قد يتلازمان عند العلماء والأدباء ، حسب المكونات الثقافية والمعرفية لكل منهما ، من ثم فقد وجدنا عند

بعض الأدباء مايسمى بأدب "الخيال العلمي" ، الذي ازدهر في القرن العشرين ، وانبعث منه أنواع جديدة أخرى مثل أدب الفنتازيا العلمية ، وأدب الظواهر الخفية [٩] .

كما نجد عند العلماء شيئا من ذلك الخيال الأدبي ، لا يتجلى في رؤاهم الفكرية ، وتجاربهم العلمية فحسب ، بل يتضح في صياغاتهم لنظرياتهم العلمية ، وتصوراتهم الفكرية والفلسفية.

والأديب والعالم السياسي وغيرهم ممن يوظفون الخيال في الإنتاج والإبداع والابتكار ، لا تتجلى فاعليتهم إلا عندما يتمثل المتلقي تجربتهم ويتصل بما يبدعونه أو ينتجونه أو يبتكرونه ، وغير ذلك مما يؤكد شمولية التجربة ، وشمولية الخيال الموظف [١٠] . هكذا يصبح الخيال على اختلاف مستوياته وأنواعه يضم المرسل والمستقبل ، سواء كان هذا المستقبل كبيرا أم صغيرا ، كل حسب مستوى الخيال ، و يعنينا في هذا المجال هو الخيال الأدبي.

ثانيا: توظيف الخيال الأدبي:-

لقد تباينت مواقف الناس تجاه الخيال ، فوجدنا اليونانيين خاصة أفلاطون وأرسطو يحذرون من الخيال بصفة عامة لاعتقادهم بأنه مضلل خادع ، ولذلك حذروا من سيطرته على

العقل [١١] ، وقد تابعهم الكلاسيكيون في ذلك ،من ثم كانوا يعلون من قيمة العقل والمنطق ، وربما كان ذلك من أهم الأسباب في سيادة نظرية المحاكاة في عنصر النهضة حتى يحدوا من أثر الخيال ، لكن ذلك لم يستمر مع متغيرات الحياة ، ورغبة الإنسان في التحرر من القيود ، وتجاوز ما يعوق تفكيره.

من ثم فقد كان أهم تحول بعد ذلك يتمثل فيما رآه الفيلسوف الألماني كانط في القرن الثامن عشر ، من أن الخيال هو أجل قوى الإنسان ، التي لا يستطيع أحد أن يستغنى عنها[١٢].

ثم تضاعف الإحساس بأهمية الخيال في منتصف القرن الثامن عشر عندما جاءت الحركة الرومانسية ممثلة في روادها مثل: بليك ووردزورث و كوليردج و شيلي و كيتس ، فأعلت من الخيال والإبداع وقرنت بينهما ، خاصة بعد أن طالب روادها بالتحرر من التقاليد والقواعد التي أرسلتها الكلاسيكية ، كما أكد هؤلاء الرواد على التلقائية والغنائية ، وأعلوا من قيمة الذات ، ودافعوا عن أهمية الخيال والأصالة [١٣] ، وهم في الوقت نفسه كانوا يرون أن الخيال أكبر نشاط حيوي للعقل[١٤] .

وربما كان ووردزورث و كوليردج من أهم رواد الحركة الرومانسية الذين تحدثوا عن أهمية الخيال ووظيفته في العملية الإبداعية، وفرقا بين الوهم والخيال ، كما نجد وورد زورث يتحدث عن أثر الخيال في الصورة الفنية فبين أن الخيال : " هو القدرة على اختراع ما يلبس اللوحات المسرحية لباسا فيه تكتسي أشخاص المسرحية نسيجا جديدا ، ويسلكون مسالكهم الطريفة ، أو هو تلك القدرة الكيماوية التي بها تمتزج – معا– العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف ، كي تصير مجموعا متآلفا منسجما" (١٥) ، وفكرة الجمع والمزج والتأليف بين العناصر المتابينة سنجدها عند كثير من الرومانسيين وهم يتحدثون عن وظيفة الخيال ، بل وجدناها عند عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) قبل هؤلاء جميعا وهو يتحدث في فكرة تشكيل الصورة (التمثيل) وتأثيرها في المتلقي ، خاصة وهو "يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة ، ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة" (١٦) .

وها هو ذا كوليردج الذى تأثر بكانط ووردزورث ، يتحدث عن أنواع الخيال ويفرق بينها ، فبين أن "الخيال نوعان: أولهما الخيال الأولى: وهو القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنسانى ، وهو علمي في وظيفته...

أما النوع الثاني: فهو الخيال الثانوي ، وهو صدى للخيال السابق ، ويصطحب دائما بالوعى الإرادي ، وهو يتفق مع الأول في نوع عمله ، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنه يحلل الأشياء ، أو يؤلف بينها ، أو يوحدها ، أو يتسامى بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد ، ومجاله الفن ، وهذا النوع من الخيال يدعوه كانط الخيال الجمالى " [١٧] .

وهكذا يلتقى وورد زورث وكوليردج في بيان وظيفة الخيال وأنه القدرة التي يشكل بها المبدع الصورة عندما يعمد إلى الأشياء في الواقع العينى ليفتت تماسكها ، فلا يبقى منها إلا على صفاتها أو بعض صفاتها ، ليضعها في نظام جديد ، فتكتسب علاقات جديدة ، وصفات جديدة، بعد أن حطم وأذاب علاقاتها وصفاتها فتلاشى منها ما تلاشى ، وبقى منه ما بقى ، ولكن في نظام آخر ولإبداع آخر [١٨] ، ونجد هذا واضحا في كثير من الصور في أدب الكبار وفي أدب الأطفال مع اختلاف مستوى التشكيل ، والمرحلة السنية التي يلائمها بالنسبة للأطفال كما سيتضح.

وثمة ناقد آخر أيد كوليردج فيما ذهب إليه من حديث عن الخيال ونوعيه ووظيفته وتعدد مجالاته، وهو ريتشاردز في

كتابه "مبادئ النقد الأدبي" ، حيث حدد ستة معان للخيال تتضمن كثيرا من الصور التى نجدها في الأدب [١٩] منها :-

١- أنه قد "يأتي بمعنى توليد صور واضحة ، وهو يعتمد على الصور المرئية، وهو أكثرها شيوعا وأقلها أهمية" ، وذلك قد يلتقي مع الخيال الأولى عند كوليردج.

٢- "الخيال الذي نجده في اللغة المجازية سواء كانت استعارة أم تشبيها" ، وهذا الخيال نجده كثيرا عند الشعراء في أدب الكبار وأدب الأطفال.

٣- وقد يقصد بالخيال "تصوير الحالات الذهنية ، للغير عن طريق المشاركة الوجدانية ، ويظهر هذا في تصوير حالات الشخصيات العاطفية كما يوجد في المسرحيات " وذلك أيضا نجده في أدب الكبار وأدب الصغار على اختلاف في مستوى التصوير والتأثير حسب المرحلة السنية.

٤- وقد يأتي الخيال بمعنى "الإبداع والاختراع والجمع بين عناصر مختلفة قد لا توجد بينها رابطة" ، كما في بعض قصص ومسرحيات أدب الخيال العلمي للكبار والصغار ، خاصة عندما يتم تشكيل الحدث في بيئات غريبة كأعماق البحار أو باطن الأرض أو أجواز الفضاء.

٥- كما يتفق ريتشاردز مع كوليردج في الخيال الثانوي عندما يرى الخيال "القوة التركيبية السحرية التى تعمل على خلق التوازن بين الصفات المتضادة أو المتقاربة".

وإذا كان ووردزورث وكوليردج وريتشاردز وقبلهم ابن سينا وحازم القرطاجنى يتحدثون عن الخيال في أدب الكبار ، فيلاحظ – فيما سبق – كما أشرت تضمين معاني الخيال ووظيفته لكثير من الصور التي نجدها في أدب الأطفال أيضا ، طبعا على اختلاف في مستوى تشكيل الصورة وتنوع عناصرها ، ودرجة تأثيرها ، وإسهامها في بناء العمل الأدبي ، بما يتناسب مع المرحلة السنية للأطفال كما سيتضح.

ونحن وإن كنا لا نحبذ الإسراف في الخيال وصوره ، حتى لا يؤدى ذلك إلى تزييفه ، لأنه بذلك يفسد خيال الطفل ، فلا شك أيضا أن الأدب يمكن أن يكون جافا إذا كرس الواقع فقط ، فيعوق الطفل عن الاستمتاع والإفادة ، من ثم فالطفل بحاجة إلى الكاتب المبدع الذي يحسن التوازن بين الجانبين[٢٠].

ثالثا: أنواع الخيال في أدب الأطفال :-

ويمكن أن نحصر الخيال في أدب الأطفال من حيث وظيفته ومعناه ، بناء على ما سبق في ثلاثة أنواع هي:

أ- الصور المجازية.

ب-الخرافة والأساطير والجن والسحر.

ج- أدب الخيال العلمي . *

وقد تجتمع هذه الأنواع في العمل الأدبي للأطفال وقد يغلب نوع منها على غيره.

وسأتناول بالدراسة هنا النوع الأول فقط ، لأنه أساسي في تشكيل الأدب ، كما أرجو أن يتاح لي أو لغيري دراسة النوعين الآخرين قريبا ، وفي مجال آخر إن شاء الله.

رابعا: الصور المجازية:

يقصد بالصور المجازية – التي يصنعها الخيال – بصفة عامة أو بصورة مبدئية بسيطة ؛ أنها تعنى استخدام الأديب للكلمة في معنى غير المعنى الذي يوجد لها في المعجم ، حيث ينقلها الأديب في عمله الأدبي من المجال المعجمي إلى مجال آخر ، لتعطى دلالة أوسع ، لأنها في هذا الاستخدام الجديد ، يمكن أن تتضمن بعض ملامح المعنى الحقيقي المعجمي ،

• سبق مناقشة هذا اللون من الخيال في كتابي : النص الأدبي للأطفال طبعة دار البشير بعمان من صفحة ١٣٨: صفحة ١٤٤ ، و طبعة العبيكان بالرياض من صفحة ١٧٩: صفحة ١٨٧ .

بالإضافة إلى الدلالة الجديدة في العمل الأدبي ، مما يجعل دلالتها ثرية، كما يمكن أن تحقق قيمة جمالية للتعبير ، بالربط بين طرفي الصورة المتشكلة وهذان الطرفان هما:

المعنى الحقيقي والمعنى المجازى ، أو المشبه والمشبه به ، أو المستعار منه والمستعار له ، أو المعنى القريب والمعنى البعيد في الكناية ، وهذا الربط أو هذه العلاقة بين هذين الطرفين تقوم على أسس نفسية منها: تصوير المعنوي في صورة حسية ، فتدركه النفس وتتأثر به ، أو تنقل الصورة المتلقي من الخفي إلى الجلي عن طريق هذا الربط ، فتتجلى الصورة في نفسه ، أو ينتقل المتلقي مما هو قريب منه مألوف له إلى ما هو بعيد عنه ، فتتضح الصورة أكثر.

وهكذا يقيم الأديب هذا الربط وهذه العلاقات ببراعته ، خاصة عندما تتباعد هذه الأطراف في الواقع ، ولكن هذا الجمع بينها يحكمه الفكر والقياس والاستنباط [٢١] وهكذا ، ونحن لا نطالب الصغير ، بإدراك بلاغة الصور المجازية على أسسها البلاغية والفنية والنفسية ، وكيفية تشكيلها ، فهذا بالنسبة للكبار المتخصصين ، لكننا فقط نريد أن يتمثل خياله ما فيها من جمال حتى يتذوقه ، أو يؤثر فيه ، بناء على ما بين أطراف الصورة من علاقات.

فمتى يستطيع الطفل أن يدرك بخياله هذه العلاقات بين الأشياء ، استطاع أن يستنتج الفكرة ، ويصل إلى المعنى المراد خلال مثل هذه العلاقات ، ويتذوق ما يتحقق من صور جميلة في النصوص الأدبية الخاصة به تذوقا يمتعه ، وينمى فيه في الوقت نفسه حاسته الجمالية ، كما يسهم هذا التذوق في تربية ذوقه ، وكل هذا بفضل إدراك خياله وعقله لهذه العلاقات.

إن تفكير الطفل وذكاءه يتطوران باستمرار ، خاصة منذ السابعة حتى ينتقل من مرحلة الذكاء الحدسي أي اللامنطقي الذي ساد فترة طفولته المبكرة من (٣ ــ ٧سنوات) ، إذ يجد صعوبة في التمييز بين الخيال والحقيقة لينتقل إلى مرحلة الذكاء المحسوس (من ٨ ــ ١٢ سنة) ، ويعتبر ذلك تحولا مهما في حياة الطفل الذهنية والاجتماعية وهو ما يعنينا ، فيتجلى لديه بروز العمليات الذهنية كالتفهم والمناقشة والحوار مع رفاقه ، وقد يعمد إلى إعطاء الأدلة والبراهين التي تؤكد وجهة نظره ، لأنه وهو ينتقل في هذه المرحلة من الذكاء الحدسي (اللامنطقى) إلى الذكاء المحسوس القائم على العلاقات المتبادلة أو العكسية ، يستطيع أن يدرك العلاقات القائمة بين شيئين أو أكثر ، وهو ما يتصل بمقدرته على الاتصال بالصور المجازية ، وإدراك

دلالاتها ، واستنباط معانيها ، وبداية تذوقه لها من الثامنة من عمره [٢٢] .

وهو في هذه السن قد يتدعم لديه التمييز بين الخيال والحقيقة ، كما يستطيع أن يتبين أوجه الشبه والفروق بين الأشياء البسيطة ، كما يتوسع في استخدام اللغة الرمزية [٢٣] ، وهذه الصور أيضا يمكن أن ترمز إلى معان ودلالات ، ولكن هذه الصور في الوقت نفسه يجب ألا تقوم على تعقيد العلاقات ، وتكثيفها ، وإنما يجب أن تكون هناك بساطة في الصور ، بناء على بساطة أطرافها وقرب الاتصال بينها ، وبعدها عن التعقيد حتى لا تتجاوز المرحلة السنية الملائمة لها ، فيكفي فيها الربط بين شيئين أو ثلاثة على أكثر تقدير ، حتى يستطيع الطفل أن يستوعبها ويتأملها ، ويتفاعل معها ، ويدرك شيئا مما ترمز إليه ، كما سيتضح في النصوص التي سنتناولها بالتحليل.

خامسا: تحليل لنموذج قصصي يكشف عن أثر الخيال فيه وتأثيره في الطفل:

١- من كتب الأطفال ، مجموعة قصصية بعنوان "أسرار وأخبار .. البخلاء" [٢٤] ، في القصة الأولى منها وهى بعنوان (البخل وباء) ، حاول الكاتب فيها توظيف قصة

أصحاب الجنة (البستان) الواردة في سورة "القلم" وتتمثل في شخصية الأب الخير الذي يحتفظ لأسرته بجزء من ثمار بستانه ، ليكفيها مئونة العام ، ويتصدق بما تبقى من ثمار هذا البستان ، إلى أن توفاه الله، وورثه أبناؤه الثلاثة ، ويعقد الكاتب "تقابلا" أساسيا في بناء القصة بين الأب وأبنائه ، فبدلاً من أن يعيدوا سيرة أبيهم ونظامه في ثمار البستان طمعوا فيها كلها ، وأرادوا أن يحرموا الفقراء والمساكين نصيبهم الذي تعود والدهم إعطاءهم إياه، ولذلك فقد قرروا جني الثمار كلها مبكرين في الفجر قبل أن يدركهم هؤلاء الفقراء والمساكين ، حتى إذا وصلوا لا يجدون شيئا قد تبقى لهم من ثمار البستان ، وبرغم أن أوسط هؤلاء الإخوة قد نصحهم بألا يفعلوا ذلك حتى يجروا سنة أبيهم ، ويرضوا ربهم ، لكنهم رفضوا طمعا في نصيب كبير لهم.

وفي الصباح الباكر عندما ، ذهبوا إلى بستانهم لم يجدوا شيئا ، فقد أصابته ريح اقتلعت أشجاره ، ونار أحرقت كل ما فيه ، وهكذا نزل بهم عقاب الله ، خاصة وأنهم لم يستجيبوا لنصيحة أخيهم ، وثمة علاقة "تماثل" بين الأبناء

والمحتاجين ، فقد حرموا جميعا من ثمار البستان ، المالكون والفقراء ، وإن كان طمع الأبناء هو السبب .

٢- هذه القصة تقوم على علاقتين : علاقة الأبناء بأبيهم وعلاقة هؤلاء الأبناء بالمحتاجين ، وهكذا تجاوزت هذه القصة العلاقة الواحدة ، من ثم فهي لا تناسب إلا أطفال مرحلة الطفولة المتوسطة من (٧ : ١٠) ، وكذلك مرحلة الطفولة المتأخرة الذين يدرك خيالهم وتفكيرهم تعدد العلاقات ، وتحديد المرحلة السنية شرط مهم للتعامل مع هذه القصة ، بل مع هذه المجموعة كلها ، وهو ما افتقدته ، بل إننا نؤكد على وجوب أن يحدد الكاتب لأي عمل للأطفال ، المرحلة السنية التي تلائمه ، على غلاف الكتاب حتى يسهل على الآباء والأمهات والأطفال اختياره.

٣- وثمة عناصر قصصية شكلت هذه القصة الأولى من هذه المجموعة القصصية (أسرار وأخبار البخلاء):-

١) المكان: فقد حددت القصة قرية ضروان بالقرب من صنعاء عاصمة اليمن .

٢) الزمان: قبل الإسلام : وهذان العنصران مهمان في تحديد مجال القصة وزمانها، للإشارة إلى أنها واقعية أو الإيهام بذلك ، فمثل هذا التحديد يقربها من

الطفل المتلقي ، ويساعده على التفاعل معها ، واستيعاب الأهداف المنوطة بها التي تشير إليها في النهاية.

٣) الشخصيات: أ-الأب بملامحه المعنوية: حب الخير والبر والإحسان والذكاء.

ب- الأبناء الثلاثة وهم على عكس أبيهم تماما : البخل والطمع ومنع الخير.

ج- المحتاجون والمساكين الذين تعودوا أن ينالوا صدقة الأب .

ويلاحظ أنه لا توجد أي ملامح مادية لهؤلاء الأشخاص جميعا يمكن أن تسهم في أقناع الأطفال بهم ، ولذلك فالمعول عليه في التأثير هنا كثيرا هو الحدث ، والصور المجازية، ولغة القصة بصفة عامة.

٤- وهذا "الحدث" يتألف من بداية ووسط ونهاية ، البداية في مخالفة الأبناء لما كان يصنعه أبوهم من فعل الخير ، ورفضهم لنصيحة أوسطهم ، "والوسط" يتمثل في عزمهم على التبكير في جني محصول الثمار قبل وصول المحتاجين ، ونومهم العميق ، أما "النهاية" فتتمثل في الريح التي اقتلعت الأشجار ، والنار التي أتت على كل ما

في البستان فاحرقته ، واكتشاف الإخوة ما نزل بالبستان من خراب ودمار ثم ندمهم . ويلاحظ أن هذا التسلسل المنطقي في توالى أجزاء الحدث مما يسهم في التأثير في الأطفال المتلقين ، ويقنعهم بأهداف القصة.

٥- العقدة والحل والنهاية: وتتمثل "العقدة" في قمة تأزم الحدث الذي اتضح في تأكيد الأخوين لثالثهم أنهم مصرون على منع الفقراء حقهم ، وتهامسهم وهم متوجهون للبستان مبكرين بعد نوم عميق ، أما "الحل" : فيتمثل في وقوع الكارثة ، وأما النهاية : فهي ندمهم ولومهم أنفسهم وطلب المغفرة من الله.

والتتابع المنطقي فيما سبق ودقته ، بالإضافة إلى وحدة البناء الفنية يمكن أن تشكل عنصر"التشويق" الذي تجلى في توظيف القصة القرآنية ، والجمع بين أجزائها في هذه الوحدة الفنية (وهى وظيفة الخيال الثانوي الذي أشرنا إليه عند كل من (كوليردج وريتشاردز سابقا صفحة ٨:٥).

٦- اللغة:

أ- تتميز لغة القصة بمناسبتها لمعجم أطفال هذه المرحلة المتوسطة ، فليس فيها من المفردات ما يخرج عن هذا المستوى إلا تعبير (أهل الكتاب

وكلمة وباء) وهو ما يمكن شرحه لهم بسهولة ، (فأهل الكتاب وهو المسيحيون واليود ، والوباء: المرض الخطير الذي ينتشر ويدمر الحياة).

ب-كما تنوعت الجمل بين الطول والقصر ، وكان الطول في أول هذه القصة لعرض بيئتها ، وبيان صفات الأب ، ولكننا وجدنا الجمل تقصر في منتصفها ونهايتها ، لرصد بخل الأبناء وطمعهم وما أصاب البستان من خراب ، ولتتابع هذا الأثر السيئ على عقول ونفوس الأبناء الثلاثة البخلاء ، فيستشعرون الندم ، ويطلبون المغفرة من الله ، وهكذا ناسب طول الجمل عرض الخير ، كما ناسب قصر الجمل عرض العقاب ، ولتتجلى المفارقة بين المسلكين ، والعملين ؛ فعل الخير وفعل الشر ، مما يقنع بالأول وينفر من الثاني.

ج- كما وضَحَتْ "كان" متعددة لبيان أن هذه القصة في الزمن الماضي ، خاصة في الجزء الأول منها الخاص بالأب ، بل إن هناك كثيرا من الأفعال المضارعة التي اكتسبت دلالة الماضي لمصاحبتها الأفعال الماضية الأخرى في سياقها ، مما يكسب

القصة صفة " الحدوتة" التي يمكن أن تجذب الأطفال، بإسهامها في تشويقهم .

و- ولقد كانت النتيجة التي انتهت بها القصة مشبعة لاهتمامات الأطفال المتلقين من حيث مكافأة المحسن - وهو الأب الذي اتصف بالصلاح - وعقاب المسيء الطماع البخيل وهم الأبناء .

د- المستوى الخيالي التصويري :-

وثمة صور مجازية في هذه القصة تشكلها الكناية، فيتآزر ويتشافع ويتصل المعنيان : الحقيقي المعجمي القريب ، والكنائى المجازي البعيد ، وما بينهما من علاقة واتصال - يسهم عندما يدركه خيال الطفل - في تجسيد حال الأبناء الثلاثة ، وما نزل بهم من عقاب الله لهم نتيجة منعهم الفقير حقه .

وتأمل أول صورة وهى تشكل العنوان : " البخل وباء " وهى قائمة على التشبيه ومحاولة الكاتب أن يوجد علاقة بين طرفين هما البخل والباء ، على أساس ما يترتب على كل منهما من خراب وتدمير، فكما أن الوباء هو انتشار المرض الخطير وقضاؤه على الحياة ، وتدميره لها بشرا وحيوانا ونباتا ، كذلك البخل ، والطمع وحرمان الفقير وذي الحاجة من الصدقة أو البر.

يؤدى إلى الخراب و التدمير وفقدان الحياة لهؤلاء المساكين والمحتاجين.

ونلاحظ أن هذه علاقة بسيطة بين طرفي الصورة عمادها التشبيه، وهذا الربط بين طرفي الصورة يمكن لطفل المرحلة المتوسطة من الطفولة وما بعدها أن يستوعبها ، ويتأملها (بناء على بحوث جان بياجيه انظر ص١٠، ١١ فيما سبق) وذلك بعد أن يوضح له الكبار معنى كلمة "وباء".

وهكذا منذ بداية القصة يستشعر الطفل الخطر الذي سينتشر ، فإذا تتابعت الصور الأخرى في القصة وتآزرت في بيان وتصوير البخل والطمع كوباء يهدد المحتاجين والمساكين والفقراء يتضاعف إحساس الطفل بخطورته وتقبيحه ، وشدة نفوره منه ، ومن ثم إقباله على الخير والكرم ومعاونة المحتاجين .

- الصورة الثانية: "ثم ذهب الثلاثة لينامو ا ، وراحوا في نوم عميق" ، وهي كناية تفيد استغراقهم في النوم ، وهذا هو المعنى الحقيقي المعجمي القريب ، لكنها في الوقت نفسه تكشف عن شدة غفلتهم عن فعل الخير ، وما يمكن أن يحل بهم من عقاب نتيجة غضب الله عليهم، وهذا هو المعنى المجازى ، ويستطيع الطفل الربط بين هذين المعنيين في القصة ؛ فالأبناء فيها

بغفلتهم عن فعل الخير ن وتناسيهم له ، برغم ما يترتب على ذلك من ضرر المحتاجين المساكين وعقاب الله ، تماما كالمستغرق في النوم لا يدري شيئا عما حوله ، برغم خطورته.

وهكذا يستنتج الطفل سوء ما ارتكبه الأبناء الثلاثة في القصة بعزمهم على حرمان الفقراء حقهم في الصدقة ، وشدة ما نزل ببستانهم من دمار وخراب . وبذلك تسهم هذه الصورة الخيالية في تحذير الطفل وتنفيره من منع الفقراء والمحتاجين حقهم في الصدقة ،وهو هدف مهم من أهداف هذه القصة ، إذ يسهم في إيجاد الطفل السوي وحسن تربيته، وذلك من أهم أهداف الدين الإسلامي الذي تعمل هذه القصة على تثبيت قيمه وإرسائها في وجدان الطفل وعقله.

- من هذه الصورة أيضا: "أرسل الله - تعالى - ريحا شديدة ونارا على البستان فاقتلعت الريح الأشجار من جذورها ، وأحرقت النار البستان بما فيه ، حتى صار أسود متفحما ، كأن لم يكن بستانا منذ قليل".

"فاقتلاع الأشجار من جذورها ، وتفحم البستان" يمكن أن يكون معنى حقيقيا معجميا ، لكنه في الوقت نفسه يتضمن معنى مجازيا وهي كناية أيضا عن شدة "اقتلاع الأشجار، وشدة إحراقها" ، مما يدل على شدة عقاب الله الذي نزل بأصحاب هذا

البستان ، هذان المعنيان يمكن للطفل الربط بينهما عند تامله لتلك الصورة في سياق القصة واستيعابه لها ، إذ بإمكانه في مرحلة الطفولة المتوسطة وما بعدها أن يدرك ذلك بخياله وتفكيره كما أوضحنا سابقا . فإذا ما تمثل من خلال هذين المعنيين والعلاقة بينهما ، والربط بينهما شدة هذا العقاب ، فقد نجحت هذه الصورة متآزرة مع سابقتها ، وغيره مما يوجد في القصة ، من تحقيق الأهداف الإسلامية المنوطة بها في تبغيض البخل للطفل وتنفيره من الطمع ، ومن ثم إقباله على الخير ومساعدة المساكين والمحتاجين.

هـ- وشدة تأثير هذه الصورة وأمثالها في نفس الطفل ، وتفاعله معها ، يرقى بلغته العربية ، ويوسع من حصيلته اللغوية ، ويزيد من قدرته على التعبير عما يعن له في الحياة.

و- وتتجاوز شدة التأثير بالصور الهدف اللغوي المعرفي لترقى بتذوق الطفل الجمالي عندما يشعر بأهمية هذه الصور في الكشف عن الفكرة وشدة تأثيرها في وجدانه ، فتتهذب مشاعره ، ويرق إحساسه بالجمال ، وغير ذلك مما ينعكس على ممارساته.

سادسا: وهذا تحليل لنص شعري:

نحاول الكشف فيه عن "الخيال" خلال الصور المجازية فيه ، وبيان مدى إسهامها في تحقيق الأهداف المنوطة بهذا النص الشعري للأطفال

كتابي نهر امعلومات

فهذه منظومة من ديوان شعر للأطفال بعنوان "أشجار الشارع أخواتي" لأحمد فضل شبلول ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية(٢٥) .

المرحلة السنية التي تلائمها:

هذه المنظومة تتألف من ثلاثة وستين سطرا شعريا قصيرا ، وتحاول أن تحدث الطفل عن الكتاب ، وفوائده ، وتشير إلى ما يمكن أن يتضمنه هذا الكتاب من هداية وعلوم ومعارف، وأثرها في تنمية معلوماته وخبراته، وتهيئته لمواجهة الحياة بالعلم والمعرفة ، ومن ثم تبتغى أن تحببه في كتاب الله خاصة ، وكل الكتب النافعة عامة ، وما تتضمنه ، والمحافظة عليها، وصقل مهاراته في القراءة والكتابة ، وجذبه تجاه دروسه وتربية ذوقه وتنميته.

لكنها بهذا الطول وذلك التنوع المعرفي يمكن أن تكون مناسبة لمرحلة الطفولة المتأخرة(من ١٠ : ١٢ سنة) فقد يستطيع أطفال هذه المرحلة استيعابها ، لما لهم من مقدرة أكثر على التركيز ، وإدراك العلاقات المتعددة ما بين الكتاب وما يتضمنه من معارف متنوعة ، وأثره في الحياة ، وأنه خير جليس ، خاصة ما فيه من آيات قرآنية ، تحفظ الإنسان من الزلل والخطأ.

ويمكن أن يكون هذا النص مناسبا لمرحلة الطفولة المتوسطة من (٧ : ٩ سنوات) ، بشرط أن تقسم هذه المنظومة ثلاثة أقسام ، بحيث يستقل أطفال هذه المرحلة المتوسطة بأحد هذه الأقسام ، أو تقدم لهم على ثلاث فترات زمنية متفاوتة ، فدرجة تركيزهم أقل ، ومقدرتهم العقلية يمكنها استيعاب علاقات أقل ، وكأني بالشاعر قد أراد ذلك حيث جعل جملة "كتابي نهر المعلومات"، عبارة محورية، يمكن أن يبدأ بها وينتهي كل قسم من أقسامها الثلاثة.

الألفاظ والمستوى التركيبي: وسواء كانت لهؤلاء أو لأولئك فهي تتميز بجمل قصيره حتى لتبلغ الجملة كلمتين أو ثلاث كلمات، ومعظمها ليس غريبا على معجم الطفل أو بيئته في هذه المرحلة السنية ، [الكتاب – النهر – القلب ، الشمس – السماء – الصفحات – الأحرف ....إلخ].

ويلاحظ أن هذه الكلمات السابقة يغلب عليها الماديات ، مما ييسر على الطفل استيعابها والتمثل الدلالي لها ، بل إن هذا قد يعين على استيعاب مفردات يغلب عليها التجريد عندما تقترن المفردات ذات الدلالات المادية بغيرها ذات الدلالات المعنوية مثل : [.. عن المستقبل الباهر – نتبع الأحرف لكي نعرف – أرى الأكوان في كتبي..].

بل إن معظم هذه الجمل بسيطة في تركيبها ، بعيدة عن التعقيد والتداخل ، ذات أطراف متقاربة مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل ، بل إن ما فيها من تقديم وتأخير في كثير من الأحيان قد يكون غاية في اليسر والسهولة ، مثل [به سور – به آيات – به أرقام..] وذلك بجانب ما فيها من حذف سهل الفهم والتقدير ، بجانب تحقيقه للإيجاز المفيد.

ويقوم "التكرير" بدور مهم في استيعاب الطفل وتمثل دلالات هذه المنظومة ، سواء اتخذ هذا التكرير الجملة المحورية أساسا له كما في (كتابي نهر معلومات) التي تتكرر في بداية النص ونهايته ، وفي بداية كل فقرة ونهايتها ، أو كان التكرير لحرفي الجر (الباء أو عن) في بداية الأسطر المتتابعة ، عندما تنبث هذه الظاهرة "التكرير" خلال المنظومة ، مما يثرى إيقاعها ويسهل حفظها ، بل إن الأسطر العشرة الأولى تبدأ بها المنظومة وتختتم.

كما يتكرر حرف العطف (الواو) الرابطة بين عديد من الجمل في هذه المنظومة، وبطريقة خاصة ، بين سطورها محققا الربط والتواصل الفكري ليستمر التمثل الدلالي بالنسبة للطفل ، كما يسهم هذا التكرير أيضا في ثراء الإيقاع بأدق صوره وهو التكرير النغمي.

المستوى التصويري:

لا شك أن القيمة الجمالية لأدب الأطفال التي تتجلى خلال الصور المجازية – التي يشكلها خيال الكاتب – ذات أهمية خاصة في تربية الأذواق ، وصقل القدرات ، وتنمية الحس الجمالي الفني لدى الأطفال ، ولن يتحقق ذلك إلا باستثمار كثير من النواحي الجمالية في نصوص أدب الأطفال ، وهنا سوف نجد عدة صور مجازية شكلها خيال الكاتب لعل في مقدمتها : (كتابي نهر معلومات).

ثم:

- تَسْبح الكلمات
- تَجْرى الأحرف
- تَتْبعها
- أرى الأكوانَ في كتبي
- كتابُ الله يحْفظنا من الزلل
- نُودِعُه هذا القلب
- إذا غابت شموسُ العلم
- يغيبُ القوم

- هيا نحضن الكتبا
- وهيا نفهم العلما
- ونجعله لنا أماً

سوف نجد أن معظم هذه الصور المجازية ذات طرفين أحدهما معنوي والآخر مادي أو العكس ، وذلك لتقريب الفكرة ، والتأثير بها في الطفل المتلقي عن طريق الجمع بين المادي و المعنوي ، بين المحسوس من ذلك والمجرد،بين الأكثر إيلافا والأقل ، ومن المعلوم إلى المجهول ،.مما يستثير خيال الطفل (خاصة في مرحلة الطفولة المتوسطة) ، حيث يستطيع هذا الطفل إدراك هذه العلاقات الفردية بين طرفين وإن تعددت صورها ، مما يرقى بخياله / ومشاعره ، وينمى حاسته الفنية الجمالية بالانتقال بين هذين المستويين (الحقيقي والمجازى) ، فيستثير خياله ، ويصقل مشاعره ويهذبها، ويمكن أن يستمتع الطفل بهذا الجمال البياني السهل.

المستوى الإيقاعي:

هذه المنظومة ثرية الإيقاع ، سواء على مستوى التكرير ، تكرير الجمل أو الألفاظ أو الحروف كما أشرت في المستوى التركيبي ، وبما حققه لها الوزن الشعري من تناغم وتوازن لاعتماده وحدة التفعيلة لا البحر أساسا له ، وبالمراوحة بين

إطلاق القافية وتقييدها ، وفي كليهما ثراء نغمى ، بالإضافة إلى ما يتضمنه النص من تقسيمات متوازنة.

لكن ثمة سلبيات يمكن أن تهدد ملائمة هذا النص للأطفال، منها الطول الذي قد لا يتناسب مع مراحل الطفولة ودرجة تركيز الطفل فيها ، ثم عدم ملاءمة تضمين قول المتنبي "وخير جليس في الزمان كتاب" ، حيث لا تنسجم إيقاعيا مع تفعيلات النص ، مما قد يعوق عملية التلقي والحفظ ، كما أن كثرة المجردات من معاني وألفاظ يحسب على النص لا له.

ولكن هذه المنظومة تحقق كثيرا من الأهداف المنوطة بها ، كجذب انتباه الطفل لأهمية الكتب بصفة عامة كمصدر للعلم والمعرفة ، والقرآن الكريم بصفة خاصة ، ووجوب المحافظة على هذه الكتب واقتنائها ، كما تثير فيهم حب القراءة والمعرفة ، كما تزودهم بكثير من المعارف الحياتية ، وأنواع السلوك السوي ، كما تعلى من إحساسهم بالجمال وتذوقه عن طريق ما فيها من إيقاع ونغم .

ولعله قد وضح مما سبق أهمية الخيال في تشكيل الصور المجازية ، وإسهامها في تحقيق كثير من الأهداف المنوطة بأدب الطفل ، مما يسهم في بناء أبناء اليوم رجال والغد.

الهوامش

١- انظر مختار الصحاح . محمد أبو بكر الرازي ط دار الجبل بيروت سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ص ١٢٦ ، ١٩٦.

٢- انظر أرنولد جزل (وآخرون): الطفل من الخامسة إلى العاشرة ترجمة أ. عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة د.أحمد عبد السلام الكردانى – الألف كتاب الثانى ١٦٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٩٥ ص ٢٥٩ ، وقد ضرب جان بياجيه مثلا بالطفل في هذه المرحلة عندما يحدثه أهله عن بابا نويل وهداياه في "الكريسماس" فيصدق ذلك ، ثم يكتشف عندما يتجاوز هذه المرحلة ما يخالف ذلك ، أنظر

Elizabeth B. Hurlock Developmental psychology a life – span approach fifth edition Tata Mc graw – Hill edition 1988

٣- د. محمد غنيمى هلال النقد الأدبي الحديث دار النهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٧٩م ص٣٨٨،

٤- د. جبور عبد النور المعجم الأدبي دار العلم للملايين بيروت يناير سنة ١٩٨٤ط ٢ص١٠٦ .

٥- السابق نفسه ص٢٤٤ .

٦- ابن سينا فن الشعر ترجمة د. عبد الرحمن بدوى دار الثقافة بيروت ط ٢سنة ١٩٧٣ ص ١٦١ .

٧- حازم القرطاجنى منهاج البلغاء وسراج الأدباء ط ٣ سنة ١٩٨٦م دار المغرب الإسلامي بيروت ص٨٩ وكذلك انظر ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٩٠ ، ٩١

٨- انظر د. نجيب الكيلانى أدب الأطفال في ضوء الإسلام مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ سنة ١٤١١هـ ص ١٢٢ ١٩٩٠م.

٩- انظر محمود قاسم أدب الخيال العلمي الدار العلمية للكتاب القاهرة سنة ١٩٩٣ ص ٨ .

١٠-انظر د. نبيل راغب عناصر البلاغة الأدبية مكتبة السرة الأعمال الفكرية مهرجان القراءة للجميع هيئة الكتاب القاهرة وزارة الثقافة سنة ٢٠٠٣ص ١٠٠ ، ص١٠١ .

١١-انظر د. محمد غنيمى هلال النقد الأدبي الحديث ص ٣١ ، ص٣٨٨ وكذلك انظر أحمد أمين النقد الأدبي

دار الكتاب العربي ببيروت ط ٤ سنة ١٩٦٧م ص٣٢٩.

١٢-انظر د. محمد غنيمى هلال النقد الأدبي الحديث ص ٣٨٨.

١٣-انظر د. فاطمة سعيد أحمد حمدان :مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص ١٣.

١٤-انظر عناصر البلاغة الأدبية ص٨٦.

١٥-انظر د. محمد غنيمى هلال النقد الأدبي الحديث ص ٣٨٩ .

١٦-انظر عبد القاهر الجرجانى أسرار البلاغة تحقيق الشيخ محمود شاكر ط١ سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١ م ص ١٢٩، ص١٤٨.

١٧-انظر د. محمد غنيمى هلال النقد الأدبي الحديث ص ٣٩٠ .

١٨-انظر د. محمد مصطفي بدوى كوليردج ص ٦٠ ، ١٥٦، وكذلك انظر د. عز الدين إسماعيل التفسير النفسي للأدب ط٢دار المعارف مصر ص ٦٧ ،

وكذاك الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي د.سعد أبو الرضا ط ١ سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٨١ .

١٩-أ.أ. ريتشاردز مبادئ النقد الأدبي ترجمة د. مصطفي بدوى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص ٣ ، وكذلك انظر مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ص ١٨ ، ص٣ ، وكذلك انظر مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ص١٨ ، ص١٩ وكذلك انظر البلاغة الأدبية ص ١٠٤ .

٢٠-انظر احمد نجيب: المضمون في كتب الأطفال رقم (٢) في دراسات في أدب الأطفال دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٧٩ ص ٨ .

٢١-انظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ص ٨٦، ولعبد القاهر الجرجاني أيضا كلام طيب في أسرار تشكيل الصورة وتأثيرها في المتلقي انظر أسرار البلاغة من ص ١٢١ وما بعدها حتى ص ١٤٨ .

٢٢-انظر غسان يعقوب : تطور الطفل عند جان بياجيه دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٨٢م ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

٢٣-انظر جزل الطفل من الخامسة إلى العاشرة ج٢ ص٢٦١ .

٢٤-أسرار وأخبار البخلاء : دار الفاروق للطبع والتوزيع قسم النشر للأطفال القاهرة ط ١ سنة ٢٠٠٤م.

٢٥-أحمد فضل شبلول "أشجار الشارع أخواتى" نشر رابطة الأدب الإسلامي العالمية الرياض مكتب البلاد العربية سلسلة أدب الأطفال (٥) طبع دار البشير للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٤ م ص ٣٠.

الفصل الثالث

التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الأطفال والتقدم التكنولوجي

الشاغر الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي

(المسرحية .....رؤية مستقبلية)

فاتحة:

برغم أهمية أدب الطفل بصفة عامة ، ثقافيا وتربويا ونفسيا وذوقيا ، وضرورته في تكوين رجل الغد ، فإن للمسرحية دورا متميزا في نشأة هذا الطفل وتكوينه ، لأن المسرح مجمع فنون كما يقال ، وما يقدم للأطفال في هذا المجال للتمثيل أو القراءة ، يجب أن يواكب متغيرات الحياة حتى يسمح للطفل في مراحل حياته بأن ينمو ويتطور ويتقدم ، ويعيش حاضره ، ويتطلع إلى مستقبله ، دون أن يغفل ماضيه . من ثم يشير هذا البحث إلى أهم المتغيرات التكنولوجية التي يجب أن يتكيف معها الطفل ، كما يبحث في المواصفات التي يمكن أن تتحقق في مسرحية أدب الطفل كي تهيئه لهذا التكيف ، ويحقق المهام المنوطة به مستقبلا ، في

ضوء هذه المتغيرات ، ثم نقوم بالإشارة إلى بعض النصوص الأدبية للطفل فى هذا المجال ، ونحلل أحدها للكشف عن الخصائص التى تجعل المسرحية مهمة فى تكيف الطفل وتلاؤمه مع هذه المتغيرات التكنولوجية ، وقد تحقق فى هذه النصوص بعض المواصفات المرجوة لعلها تكتمل فيما يقدم من نماذج أدبية بعد ذلك .

من مظاهر التقدم التكنولوجي :

نحن فى عصر الفضائيات ، حيث تتزاحم الأفكار وتتصارع الشعوب وتتنافس الأجيال وتتواصل ، ومنا أعظم سطوة اليد العليا فى هذا المجال ، وهى تمتلك التقنية والوسيلة والخطاب ، ومن يملكها فقد سيطر ، حقا هناك قنوات فضائية عربية ، لكنها تمتلك الوسيلة دون التقنية أو الخطاب ، بحيث أصبح المالك الحقيقي للنظرية والتطبيق هو الموجه الفاعل فيما تقدمه الفضائيات العربية لأطفالنا ، فاجتذبتهم المسلسلات الأجنبية ، والبرامج المستوردة ، وهى إذا كانت فى غالبها تعنى بالجانب الترفيهي كما هو مشاهد فى عالمنا العربي والإسلامي ، فإنما تحركها خلفيات ، ذات آثار

سلبية غالبا ، خاصة على هؤلاء الأطفال ، لأن باثها يبتغي من ورائها آثارا ملموسة على المشاهد ، طبقا لأعرافه وتقاليده ومقوماته ، بما يضمن للسوبرمان الأمريكي التفوق المطلق ، وما يحققه للنموذج الياباني من القفز في مجال العمل والنشاط والاختراع ، ويؤكد للمثال الأوروبي التفوق المثالي الفني ، " وتؤكد عدد الدراسات والبحوث ، وبالأخص تلك التي تعدها اليونسكو على أن التلفزات العربية تستورد من الدول الأجنبية وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ما بين ٤٠% ، ٦٠% من مجموع البرامج التي تروج ضمن هذه التلفزات " وربما أكثر (٣ :١١٤، ٢٣٢)(*)

وفي الوقت نفسه سوف نجد أن الإنتاج المحلى للبرامج التلفزيونية لدينا يتراوح بين ٥% ، ٢٠% ، إذا أدخلنا في ذلك الأخبار ونشراتها وبرامجها الخاصة ، يرجع ذلك فيما يرجع إلى " ارتفاع التكلفة بالنسبة

(*) الرقم الأول في القوس يشير إلى المصدر أو المرجع , بينما الرقم الثاني يشير إلى الصفحة وذلك بالنسبة لهذا الفصل فقط

للإنـــتاج المحلى ، مع ضعف الغلاف المالي المخصص للإنتاج ، وضعف الأسعار التي تباع بها البرامج الأجنبية (٣ : ١٤) ، وناهـــيك عن الخلفية العلمية المعرفية التي تعوزنا في هذا المجال ، بينما قد يصل موقف بعضنا إلى درجـــة الانبهار الذي يقيد ولا يدفع ، ويثبط ولا يحمس ، فيجد الإنسان نفسه جامدا والدنيا تتسارع وتتقدم .

فمـــا أكثـــر المتغيرات في عالم لا تتوقف تطوراته ، بحيث أصبح الفكر والإنسان خاضعين لعالم كبير متباين الاتجاهـــات ، فســـيح الآماد ، يموج بالمستجدات في كل لحظـــة ، لكـــنه بـــرغم ذلك قرية صغيرة ، إذ حققت له تكنولوجـــيا الاتصـــالات ، والانترنت اليوم ما يجعل في هـــذا العـــالم الكبير وحدة شاملة ، وثيقة الاتصال ، تقدم للكـــبار وللصغار مختلف ألوان الثقافات والفنون : الغث والسمين .

وبـــرغم تباين هذه الاتجاهات ، واتساع تلك الآماد ، فقـــد أصـــبحت مقاهـــي الانتـــرنت وأنديـــتها بما تقدمه من فكر وفنون عوالم متنقلة ، مع أن كثيرين مـــن البشر

المهتمين بهذه العوالم لم يتحركوا قيد أنملة فى أماكنهم التى تسمح لهم بالتجوال والانتقال عبر هذه العوالم ، وهم يجلسون أمام أجهزة الحاسوب ، يرقبونها أو يرقنونها بأطراف أناملهم إرسالا أو استقبالا ، وبذلك أصبح الأثر فى أقصى الشرق يمكن أن يكون هو نفسه، فى اللحظة نفسها فى أقصى الغرب ، مما يجعل العولمة إنذارا دائما للخضوع والاحتواء والهيمنة ، إن لم تدرك الشعوب طريقها ، وتحرص على أصالتها ، دون أن تذوب ، وتفقد خصوصيتها الحضارية والمعرفية لثقافية.

أفنتصور أمام هذه المتغيرات أن يظل طفلنا بأدبه وفكره وثقافته على ما كان عليه منذ عدة أجيال ، وهو يعيش القرن الخامس عشر الهجري ، ويتأهب للألفية الثالثة للميلاد ؟ .

المشكلة فى ضوء مراحل النمو المعرفي عند الطفل:

هذه هي القضية التى تتطلب إعادة النظر والبحث والتفكير لتهيئة هذا الطفل بفكره وأدبه وثقافته ليعيش

عالم اليوم ، بآماده الفسيحة ، ومعرفته الزاخرة ، دون أن يبتعد عن أخلاقه الإسلامية ، وأعرافه العربية ، وطوابعه الإنسانية ، مثبتا ذاته ، فاعلا في يومه وغده ، محققا قوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس .. تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله " (١ : آية ١١٠) .

إن أدب الأطفال وثقافتهم يجب أن يسهما في تنظيمهم ، وحسن تكيفهم ، وتعويدهم الإقبال على العلم والمعرفة ، وتنمية ذلك فيهم ، وغرس الحرص على الواجب والمسئولية ، والتعاون والبناء ، وكل ما يعينهم على إثبات أصالتهم وفاعليتهم في الحياة ، وتنمية دورهم الحضاري ، الخالد ، والإسلام جوهره .

ولن يتم – فيما يتم – إلا إذا أسهم أدب الطفل شعرا ومسرحية وقصة وغيرها في تقديم النماذج الملائمة لهؤلاء الأطفال عقديا وفكريا وفنيا وتربويا ولغويا وثقافيا وتعليميا ، وفق شروطهم ، وبإمكاناتهم وخصائص مراحل عمرهم (١٠: ٥٩) ، محققة لهم مزيدا من الذكاء الذي أساسه نوع من التلاؤم بين البيئة

، ومتغيراتها (٧ : ٨٦) مهما اختلفت وسيلة الاتصال تكنولوجيا ، وذلك طوال مراحل حياة الطفل التى برغم تباينها من حيث التحضير والمستوى النهائي ، لكنها تتكامل سواء على المستوى الواحد الجاري أو اللاحق ، وذلك بناء على نوعيات الشعوب التي تتم الدراسة عليها ، من حيث المستوى المعرفي الحضاري ، والبيئة ، والأسرة والنضج ، وغير ذلك من العوامل الفاعلة في هذه المراحل العمرية والعقلية .

لكن الشيء الذي يجب أن نؤكد عليه هو ثبات نظام الترتيب ، بحيث " إن طابعاً معيناً لا يظهر إلا قبل طابع آخر ، عند مجموعة من الأفراد أو بعده عند مجموعة أخرى" (٧ : ٨٨ ، ٨٩) .

وهكذا ينحصر التناسق بين الداخل والخارج ، بين الفكر والأشياء ، وبين الإنسان والعالم ، فيحقق ذاته ، ويتصدى لمشاكله ، ويرقى بمجتمعه وبيئته وعالمه ، ويحافظ على خصوصيته ، دون أن يفقد نفسه ، أمام ما تعرضه وسائل التكنولوجيا الحديثة من فكر وفن علم ، وغير ذلك من ضروب المعرفة الزاخرة .

بل إن هذا التناسق أو التفاعل بين الفرد والشيء هو الذي يحدد المعرفة ، من خلال الاستيعاب والتلاؤم كمتغيرين وظيفيين (٧ : ٨٧) ، علما بأن الاستيعاب كما يرى بياجيه(*) ، مصدر الترابط بين المواقف والأعمال والتصورات ، بينما التلاؤم مصدر التطبيق لمعطيات التجربة ونقلها من مجال إلى آخر (٧ : ٩٤)

*) ولد جان بياجيه في نوشاتل بسويسرا سنة ١٨٩٦ في أسرة تهتم بالعلم خاصة والده ، وقد اهتم بالميكانيكا والبيولوجيا والفلسفة كما اهتم بالتحليل النفسي وعلاقته بسيكولوجيا الطفل ، وقد أثر دراسة حالة الأسوياء وعمل الذهن عن الخوض في اللاوعي ، كما اهتم بالنمو المعرفي للطفل وأثر الطريقة العيادية ، ودرس المسائل الأخلاقية والدينية عند الطفل ، ومن مقالاته السيكولوجيا والقيم الدينية.

كانت له تجارب كثيرة مع الأطفال خاصة أولاده ، وبرغم اتصاله بكارل يونج لكنه لم يهتم بآراء فرويد .عمل أستاذا لتاريخ الفكر العلمي في كلية العلوم بجامعة جنيف ، ومديرا مساعدا لمعهد جان جاك رسو حيث أجرى فيه كثيرا من أبحاثه ، كما عين مديرا للمكتب التربوي العالمي الذي كان أساسا لمؤسسة اليونسكو ، وقد نال دكتوراه الشرف من جامعة هارفاد سنة ١٩٣٦ م وقد توفى فى ١١ أيلول سنة ١٩٨٠ م.

من مؤلفاته : - مدخل إلى الإبستمولوجيا ١٩٧٥م.

- تكوين البنيات المنطقية الابتدائية ١٩٨٣م.
- سيكولوجيا الطفل ١٩٦٦م.
- البنيوية ١٩٦٨م
- الابستمولوجيا التكوينية ١٩٧٠م.

، مما يوسع دائرة أفـــق الطفـــل ، وينمـــى خبراتـــه ، ويستطيع أدب الطفل وبخاصة المسرحية فى هذا المجال أن تثرى خبرات الطفل فينقل الخبرة من مجال إلى آخر ، إذا نجحت المسرحية فنياً وأخلاقيا فى التأثير فيه ، بما تحمله إليه من قضايا وتصورات وقيـــم تشـــغل بالـــه ، وتعينه على حل مشاكله ، وتشبع اهتماماته ، فتعينه على تحقيق الاستيعاب السوي ، والتلاؤم الصحيـــح ، بذلـــك يتتابع النمو المعرفي خلال مراحل حياة الطفل ويتكـــامل ، ويرتبط ذلك غالبا بمرحلة العمليات المحسوســـة فـــي عمر الطفل ، وهى الفترة العمرية التي تمتد مـــا بيـــن السابعة والثانية عشـــرة (١١ : ٢٨٩ ، ١٧ : ٢٣٧) ، كما أنها هى المرحلة التي تدرك فيها الحواس عمليـــات التفكير ، خاصة نمو التفكير المنطقـــي ، الـــذي يعنـــى إدراك الأطفال لمفهومات تتضمن علاقات بين الأشياء ، ويمكن أن تنمو لديهم القدرة على التفكير مـــن خـــلال مشكلات مطروحة تتضمنها النصوص الأدبيـــة شـــعرا وقصة ومسرحية ، مشكلة لما يهتم به الطفل من قضايـــا تخدم حاضره ومستقبله ، كما تتصل بماضيـــه ، وهـــذه المشكلات تتطلب نموا متعاقبا ومتتابعا بكـــل الزيـــادات

والتناقضات ، المتوالية فى الحجم ، وكذلك يمكنهم فهم وجهات النظر المختلفة عن وجهات نظرهم ، برغم ما قد يكون لديهم أحيانا من قصور عن التعامل بفاعلية مع المشكلات المجردة ، وإن أدركوا عناصرها الخاصة ، إذ قد لا يستطيعون ربطها بشيء آخر ، حتى يصلوا إلى الحل (٤ : ٣٧٩ ، ٣٨٠).

لقد أثبتت البحوث والدراسات النفسية ، أن المسرحية يمكن أن تحقق ما سبق ، اعتمادا على تحقيق الأساس النفسي الفعال للتكامل ، في تنمية السلوك الإبداعي بمعناه الواسع ذى الأبعاد الأربعة : المعرفي والوجداني ، والإيقاعي الجمالي، والاجتماعي (٩ :١٦٣)، مما يسهم فى تشكيل السلوك ككل بخصائصه ، ومن ثم ينتج لنا " نغما متفردا من النشاط يفيض عن نفس الإنسان فى كل وقت ، وتحت ظل أى ظروف ، ويمتد معه بامتداد العمر ، ويعرف به سواء فى حضوره أو غيابه " (٩ : ١٦٥) ، لأن العمل المسرحي يمكن أن يكون وسيلة ملائمة لتنمية السلوك الإبداعي عند الأطفال ، مما ينشط الجانب العقلي المعرفي ويحقق

التوازن الوجداني ، كما يشبع الدوافع ، ويحفز الاستعدادات الجمالية والتشكيلية ، و يدعم الارتباط بثقافة المجتمع والتعامل مع قيمه ومفاهيمه السياسية والاقتصادية ، ويعتاد العمل من خلال فريق متعاون ، وبذلك يستفيد الطفل من المسرح فائدة عظيمة " (٩ : ١٧١) .

وهكذا أيضا يتحقق النمو الاجتماعي والأخلاقي ، وتنمو قدرة التعقل ، مما يسمح للنص الأدبي المسرحي أن يؤثر بقيمه العلمية والفنية والفكرية والأخلاقية والتربوية ، فيشكل الطفل السوي مدركا لقيم دينه ، حريصا عليها مهيئا للدخول في هذا العالم دون أن ينسى أهله ووطنه وأمته ، بل يكون متصلا بتصوراتها المرحلية في التنمية والتقدم ، وعلى وعى ما بالتطور العلمي ، في حدود ما هيأته له النصوص الأدبية خاصة المسرحية ، وما أعانه نضج خبراته والعوامل البيئية على الاتصال به ، والاستفادة منه .

ومع الكم المعرفي الهائل الذي يقدم من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، وتباينه أجنبيا كان أم عربيا، يستطيع هذا الطفل أن يختار – خاصة إذا عاونه الآخرون – بما يسمح له بحسن التلقي وحسن الاستيعاب ، وسلامة التلاؤم ، خاصة فى البيت والمدرسة ، أما على مستوى أندية الإنترنت ، فحبذا أن تزود بأخصائيين نفسيين تربويين ليعينوا الأطفال على تكامل خبراتهم ، وحسن اختياراتهم على الأقل فى نهاية المرحلة الحسية وبداية المرحلة المجردة التى تتلوها ، كما حددها بياجيه وغيره من علماء النفس .

أمام هذه المتغيرات التي يمكن أن تعصف بالطفل عصفاً ، فإننا يجب أن نعيد النظر فى مستوى المسرحية الملائمة للطفل (١٥ : ٨٣ و ٨ : ٩) ، خاصة وما أكثر الأشكال المسرحية على مستوى النموذج الواحد ، وعلى مختلف النماذج ، فالشكل الأرسطى قد تجاوز حدوده الفنية عشرات المرات ، والشكل الملحمي قد اتصل بغيره وامتد فى كثير من

الأشكال الأخرى ، وكذلك بالنسبة لآثـــار تشـيكوف ، وإبسن ، وبرناردشو وبراندللو ويونيسكو وغيرهم ، وقد أثريت هذه الأشكال تقنيا بالنسبة للكبار (٨ : ٩) .

وإذا كنت فى دراسة سابقة منذ أكثر من عشـــر سنوات تقريبا قد رأيت أن الشكل الأرسطى بما فيه مـن منطق واعتماده على حدث له بداية ووسـط ونهايـة ، يمكن أن يكون الأنسب للطفل إقناعا وتأثيرا ، فإن مـــا نشاهده اليوم من كم معرفي هائل ، وتكنولوجيـــا فنيـة متخصصة ، واكبـها فـى الوقـت نفسـه تكنولوجيـا الاتصالات ، وما حققه الأطفال مـن نضـج ونمـو معرفي ، يجعلنا نوسع النظرة لمزيد من النجـاح فـى تحقيق الأهداف المنوطة بأدب الطفل عامة والمسـرحية خاصة ، لاسيما إذا أتيح للنص الكاتب المقتـدر الـذي يستطيع أن يوظف الشكل المناسب – أى شكل – للطفل المناسب ، باللغة المناسبة ، لتحقيق الأهداف المنوطـة بالمرحلة ومتغيراتها ، وغير ذلك ممـا يتطلـب ثـراء الكاتب نفسه وتنوع ذخيرته علميا وفكريا وفنيا ، فيتوثق اتصاله بالعلم والعلماء ، والفن والفنانين ، مع حـرص

في تراثنا وثوابتنا وقيمنا ، والرغبة
في تأهيل واع واعد ، يقدر أمته ومجتمعه وأهله ،
من أجل النهضة والخير والحق والجمال ،
مزودا بما حققه العصر من تكنولوجيا وعلم ومعرفة
للنهوض برجل المستقبل ، وتهيئته للمهام المنوطة به
، وتنمية جوانبه المختلفة فكريا وتربويا ونفسيا وثقافيا .

وفي هذا المجال لا ننعزل عن زحف الدنيا ،
وإنما نتعامل معه بوعي وبصيرة ، نستفيد من وسائله
وتقنياته ، ونطوع منه ما يكون محققا لمزيد من الفاعلية
لنا ، ونقدم لأطفالنا في أدبهم شعرا وقصة ومسرحية
وغيرها ، ما يحقق أهدافنا في غد مشرق سعيد ، زاهر
بهم ولهم ، لنبنى أمة عزيزة ، ووطنا منيعا ، يقود
ويرود ، فنصل أمسنا بيومنا ، بغدنا إن شاء الله ، في
حركة مستنيرة راشدة لا تنحجر على ماض ، ولا تنبهر
بحاضر تستوعب تآزر الأجيال ، وترسخ من قيمنا
الرفيعة .

كيف يمكن أن يحقق بناء مسرحية أدب الطفل في ضوء هذه المتغيرات خاصة تكنولوجيا الاتصالات الأهداف المنوطة بها في تنميته معرفيا ولغوياً وفنيا ،و وجدانيا وأخلاقيا وسلوكيا ، وتكامله نفسيا وتربويا وجسميا ؟ .

لن يتم ذلك إلا إذا أصبح التناغم الإنساني المعرفي بين المسرحية – كنموذج لأدب الطفل – والتقدم التكنولوجي حقيقة ماثلة أمامنا ، وهو ما يمكن أن يتضح خلال معالجات فنية لعدة نصوص مسرحية ، تمثل نماذج حديثة فى مجال دراما الطفل ، تتضمن القيمة الأخلاقية ، والمعرفة العلمية وتحاول إقناع الطفل بها والتأثير فيه بغية تحقيق حسن الاستيعاب ، والتلاؤم السوي ، على قدر ما أتيح لها من وسائل تعبيرية تنتمي إلى أدب الطفل ، وذلك بعد تحديد المرحلة السنية التي يمكن أن تلائمها هذه المسرحية ، لأن تحديد هذه المرحلة السنية واجب أخلاقي تربوي نفسي مهم جدا لتحقيق التواصل المرجو بين الطفل والنص ، برغم أن هناك من الكتاب من يهمل ذلك ، وهو أمر خطير ،

يجب أن ينأى عنه كل مخلص لأطفالنـــا ، لأن تحديـد المرحلة السنية لأي عمل أدبي للطفل ييسر مهمة اختيار النص الملائم للطفل ، أو البرنامج الذي يناسبه فكريـــا ونفسيا وتربويا ، وهذا التحديد لا يتم إلا بناء على أسس وشروط يوضحها علم نفس الطفل .

ولكل نص إيجابياته وســلبياته ، وســوف نشــير إليهمــا ؛ الإيجابيات بغيـــة تقديـم النمـوذج السـوي والسلبيات حتى تتضح ، فتتحقق الإيجابيات لمن أراد أن تتسع وسائله وترقى بالتخلص من هذه السلبيات والبعـد عنها ، دون أن نزعم أننا قد بلغنا بذلك ما نرجوه ، إنمـا هى جهود متواضعة تتآزر مع غيرنا ممن نذروا أنفسهم لهذا الاتجاه ، فتتكامل الجهود وتتعاون من أجـل بنـاء الوطن وأبنائه . وذلك عن طريق الكشف عن الجوانـب المعرفية والقضايا المعالجة فـي النصـوص ، ومـدى إسهامها في تنمية معرفة الطفل وصقله وتوجيهه وإبراز الشكل الفني الدرامي ، ومدى نجاحه فى تحقيق ذلـك ، وإضاءة اللغة الموظفة ، والقيمة الجمالية وتأثيرها فـي الطفل ومسلكه ، ليستمر نموه وتقدمه ، في عالم تتسارع

اكتشافاته العلمية والتكنولوجية ، وتتقدم وسائل الاتصال فيه وتتباين .

وتتعدد الأشكال الأدبية التي يمكن أن يتجلى فيها هذا التناغم الإنساني المرجو بين أدب الأطفال والتقدم التكنولوجي فى مجالات الحياة المختلفة ، وربما كان قصص الخيال العلمي ومسرحياته في مقدمة الأشكال الأدبية ذات الطواعية الفنية للاستجابة لهذه الغاية الإنسانية ، ليس فقط لأن المسرحية والقصة من أجناس الأدب الموضوعية ، ولكن ربما لأن هذين الشكلين برغم تنوع فنونهما – أكثر أشكال الأدب استجابة للتفاعل مع قضايا العلم والحياة كما يشهد تاريخ الأدب عند مختلف الأمم والشعوب .

علاقة الخيال بالفن والواقع :

ويعتبر الخيال مهما فى تحقيق الغايات التي أشرنا إليها " فمن مفهوماته أنه التفكير بالصور حسب طرق فنية تختلف من مذهب لآخر " ، وقد أجمع على ذلك فلاسفة ونقاد مثل كانط وشلنج الألمانيان ، وورد زورث

وكوبريدج الإنجليزيان (١٦ : ٣٨٨ ، ٣٨٩) ، وهو قدرة ذهنية على تكوين صور مختلفة جديدة ، لم يمر بها الفرد من قبل ، لكنها على وجه ما يمكن أن تكون منتزعة من الخبرات السابقة له ، عندما يصبح هذا الخيال وسيلة العقل في تأليف تنظيمات جديدة من هذه الصور تتصل بأبعاد الزمن الثلاثة : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، وبذلك يتشكل الإبداع العقلي ، والقدرة على اكتشاف الجديد ، والتعامل مع التقدم التكنولوجي فى الحالات المختلفة ، كما يتضح التكيف الإيجابي مع البيئة (٢ : ٩٢).

هكذا تتجلى أهمية الخيال في تكوين الأعمال الأدبية التي تقدم للطفل ، كما تبرز أهميته بالنسبة له. وهو يتعامل مع هذه الأعمال الأدبية : الشعر والقصة والمسرحية الموجهة إليه ، فيتفاعل معها وتتحقق له كثير من الغايات التي سبقت الإشارة إليها .

ويدعم ذلك فاعلية الخيال فى تجديد النشاط العقلي، وتحقيق التوازن النفسي ، وتنمية المهارات العلمية

والفنية ، وإسهامه فـــى تشـــكيل الحيـــاة علـــى نحـــو أفضل(٣ :٩٣، ٩٤) .

ولقد تأكد ذلك بما أثبتته الدراسات النفسية مـــن أن خيال الطفل يبدو أكثر نشاطا وخصوبة مما كان عليـــه قبل مشاهدة المسرحية (٩ : ١٧) .

وبرغم تباين الخيال باختلاف خـــبرات الأطفـــال وأعمارهم ، لكنه لا يتجاوز الحقيقة إلى الكذب ، وإنمـــا هو يسهم في الكشف عنها وتجســـيدها وحســـن تمثـــل المبدع لها ، وسلامة تفاعل الطفـــل المتلقـــي معـــها ، وتحقيق ثراء الفكر ومتعة الوجدان ، بالصورة الجميلـــة والكلمة المعبرة ، وارتياد المجهول ، خاصـــة إذ تـــهيأ للمسرحية الممثل المقتدر ، والمخـــرج المثقـــف دينيـــا وفكريا وعلميا ، وتوافرت وسائل الديكور المعينة .

وإذا كان الخيال يتضمـــن معنـــاه عـــدم التحقـــق الواقعي، فإن العلم فى أول درجاته يعنى هـــذا التحقـــق لذلك فإن قصص الخيال العلمي ومسرحياته يمكـــن أن يتجلى فيه هذان الجانبان دون تنـــاقض ، فـــالتصورات

العلمية مزيج من الخيال والعلم ، بحيث يحقق لرؤى العلماء امتداداتها النظرية التي ما يلبث أن يؤكد ويختبر ويبرز تجلياتها الواقعية التطبيقية . فالخيال وديناميكياته قاسم مشترك فى التطورات العلمية والفنية وتصوراتها . من هنا يتراءى قصص الخيال العلمي ومسرحياته – مهما كانت وسيلة الاتصال –كأنهما لصيقان بما يحدث في عالمنا اليوم من تغيرات . تتجاوز الواقع إلى الخيال . لكن مثل هذا الضرب من القصص قد نشأ قبل كثير من الاكتشافات التي نراها رأى العين اليوم (١٥ : ١٣٨ – ١٤٤)، وهذا القصص يستمد من العلم تصوراته ، سواء لتأكيد ما أنجز ، أو للتطلع نحو الجديد الذي يمكن أن ينجزه الإنسان ، لاكتشاف المجهول في الأرض والسماء، وفى قاع البحر ، وأجواء الفضاء ، وهو يتصدى لحياته ومشكلاتها التي تعترض تقدمه، وبذلك فهذا القصص صدى لما حدث من طفرة في تكنولوجيا الاتصالات ، حيث يوظف الكاتب في رحلته الصاروخ أو الطبق الطائر أو سفينة الفضاء ، للانتقال السريع بين آماد الفضاء ، وطبقات

الأرض ، أو يوظف الغواصات للوصول إلى أعماق البحار والمحيطات .

هكذا صعد الإنسان إلى أجواز الفضاء بخياله ، كما تعمق طبقات الأرض وأعماق البحار بفكره ، قبل أن يتحقق ذلك اليوم . وإذا كان الإنسان قد تنبأ قصصيا بذلك ، فقد تجلت هذه القصص ذات صلة وثيقة بما أنجزه الإنسان في مجال التكنولوجيا ، فقصص الخيال العلمي سابق ومبشر بما تحقق من إنجازات علمية وتكنولوجية.

ومن هنا يمكن أن نعتبر قصص الخيال العلمي ومسرحياته ، لونا من ألوان التلاؤم والتناسق والتناغم بين التقدم التكنولوجي ، وما يجب أن يكون عليه أدب الاطفال ، فهذا اللون من القصص والمسرحيات يهتم بالعلم وتطبيقاته في مختلف مجالات الحياة ، فإذا ما أردنا للطفل أن يواكب هذه المتغيرات ، فيعيش عصره ، ويتصل بمنجزاته التكنولوجية ، فإن قصص الخيال العلمي ومسرحياته من أهم ما يجب أن نقدمه له كمصدر ثرى لكثير من الأفكار والنظريات العلمية

البسيطة برغم عصرينها ، حتى يتفاعل معها ويعيـــها ، وتتسلل إلى فكره ووجدانه بصياغتها الأدبية المناسـبة ، وتشويقها الممتع المستجيب لتطلعاته ، المشبع لاهتماماته في هذه المجالات ، فننشئ فيه العالم المبتكر ، وننمـــى فيه الإنسان الفنان ، وندعم فيه البناء لأمته ، المحـــافظ على رسالتها وريادتها عندما يعمد الكاتب إلـــى اتخـاذ الفكرة العلمية التكنولوجية كأساس يبنى عليـــها حدثـه المسرحي ببساطة ويسر ، رابطا بينها وبين نمـــو هـذا الحدث ، بداية ووسطا ونهاية ، حتى لتصبح هذه النهايـة قرينة بانكشاف المشكلة المعالجة ، ومؤذنة بحلها حـــلا أخلاقيا فنيا ، يحقق كثيرا من الأهـــداف بـهذا العمـل المسرحي للأطفال ، عقديا وفكريـــا وفنيـا ، ونفسـيا وتربويا ، وعلميا ، فنهيئ له حسن الاستيعاب ، وسلامة التلاؤم ، فيتغير وتتراكم خبراته المعرفية وينمو ، وتتقدم حياته ، ولن يتم ذلك إلا من خلال مكان وزمان محددين ، واضحين ، بحيث يسهم هذا التحديد والتوضيـح فـي تأكيد معقولية الحدث ، وييســـر علـى الطفـل تقبلـه والاستجابة له ، والانشغال به ، والتعلم منـــه ، وتـأتى الشخصيات ، مهما تنوعت مستوياتها ، وتعددت أنماطها

متفاعلة مع هذا الحدث ، مبرزة له ، كاشفة عن قيمها وتطوراتها ، خلال نمو هذا الحدث نفسه ، مشكلا لبنيته المسرحية ، التي تشبع اهتماماته بما تثيره من أفكار ، وما تحمله من قيم (ولا نتصور هنا عقدة مسرحية ليست نتيجة تطور الحدث ونموه وتلاحم أجزائه) ، لذلك يتمحور نشاط الطفل وانتباهه وإبداعه وابتكاره نحو الحل (١٠ : ٦٢) . كما أن تقدم الحدث في منطقية فنية ، أو تتابع تاريخي ، يمكن أن يكون ارتباطاً عضوياً مقنعاً يعين على حسن التمثل ، وفاعلية التلقي ، وهكذا مهما اختلفت الأشكال الدرامية ، وتباينت وسائل الاتصال ، " يمكن أن يستفيد الطفل من المسرحية معلومات عن نفسه وعالمه وأبناء مجتمعه ، وعالمهم والوطن وهمومه ، والآمال حوله ، والدين ومعارفه ، وفضائله وشخصياته العظيمة ، وكل المتغيرات من حوله " (١٠ : ٦٢) .

بذلك يمتد الاتصال ويتوثق إرسالا واستقبالا بين أدب الطفل ومنجزات العلم والتكنولوجيا ، ويتسع ليشمل الجهود الإنسانية في هذه المجالات الرحبة ، منذ أن وجد

الإنسان وأنشأ قصص الخيال العلمي ومسرحياته ، وتحقق التقدم التكنولوجي ، إلى ما شاء الله ، بغية ترقية الطفل وتنمية قدراته ، وصقل مواهبه وتهيئته للبناء ، وتحقيقه لما يناط به من أهداف في يومه ، وغده.

إن التقدم التكنولوجي ، وسرعة الاتصالات ، والكم الهائل الذى تقدمه الفضائيات يسهم فى تيسير حياة البشر ، وتهيئتهم لمواجهة مشكلاتها وحلها ، سواء تم هذا التيسير وذلك الحل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بمعنى أنه قد تكون الحلول غالبا جاهزة ، لكن الوصول إليها يرتبط بمن فى يدهم مقدراتها التكنولوجية والعلمية ، وهى لا شك عمليات غاية فى الدقة والتعقيد ، وهذا ما يكشف عن المسافة الشاسعة بين المنتج الفاهم المالك لكل أطراف التكنولوجيا ، والمستهلك الذي يمكن أن يعيش عالة على غيره ، وهذه أيضا علاقة معقدة تتطلب التعاون الإنساني ، برغم ما نجده من عولمة تبغي السيطرة والسيادة ، من هنا فعلى الإنسان أن يستوعب ويتلاءم ويتكيف حتى يحقق ذاته ، ويمتلك وسائل التقدم والنهوض .

في المقابل نحن بحاجة إلى أدب أطفال يتواكب وهذا التعقيد المعرفي ، فتتضمن المسرحية أو القصة ضروباً من التعقيد ، لا للإلغاز والإبهام ، وإنما ليرقى الطفل فى عمليات عقلية فكرية تؤهله بالتدرج ليتعامل مع متغيرات الحياة ، لست أعنى بذلك التعقيد الفني فحسب فى تشكيل العمل الأدبي ، فهذا أمر مفروغ منه ، إنما أعنى بجانب ذلك عمليات عقلية استنتاجية ابتكارية، قد ترتبط مثلا بمسألة حسابية أو رياضية – تحقق لعقل الطفل استثارة أفكاره ، وتدريب ملكاته ، وصقل مواهبه، وتأخذ بيده للاتصال بواقعه المتغير الكثير التعقيدات ، فيستوعب ويتلاءم ، وينمو وينجز ما يؤهله للاستمرار فى النمو والإنجاز كما في مسرحية "الفطائر الخمس " (١٣) لأحمد المغربي وعصام إبراهيم ، وكذلك بعض مجموعة مسرح الطفل لحازم شحاته مثل : " حكاية لم تنته " ، و " حرب لا تنتهي " (١٤) .

وقد يتصل بهذا التعقيد الفكري المرجو الذي هو نتيجة التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتكنولوجيا أن يتضمن العمل الأدبي ما يستثير في

الطفل المتأ[illegible] من التفكير المنظم ، وإعمال العقل لمواجهة المشكلة الفكرية التي يبنى عليها العمل الفني ، عندما تعتمد المسرحية أو القصة أو القصيدة أو غير ذلك على هيكل فكرى ينبني على عديد من علاقات التماثل والتخالف والتساوى المنطقية ، التي يتمثلها بتوصل العمل الأدبي إلى الحل المقنع الممتع المربى المفيد عقلياً ووجدانيا (مثل مسرحية الرنين والدخان) لأحمد المغربي وعصام إبراهيم أيضا (١٣) ، كذلك بعض مسرحيات : مسرح الطفل لحازم شحاته (١٤) ، ومسرحية القاضي جحا لأحمد سويلم (١٢) ، وبرغم أن التفكير والحل عن طريق استثارة المشكلات ليس بالأمر الجديد فى مجال دراسات الطفولة النفسية وأدبها ، لكن المهم صياغة هذه المشكلات بطريقة فنية تجذب وتشوق ، وتستثير وتنمى وتحقق الاستيعاب السوي والتلاؤم الصحيح بعد عمليات عقلية تتسم بالتعقيد المثرى ، لا المبهم أو الملغز .

البعد العقدى :

ولا يكتمل هذا التناغم المعرفي الإنساني بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي ، إلا إذا أحسن استثماره عقديا فى تنمية إيمان الطفل ، وتصحيح معتقداته من خلال العمل الفني المسرحي أو القصصي ذى الخيال العلمي ، فيتكامل فى نفس الطفل ترقية الروح ، وبناء العقل ، وطهارة النفس ، وسلامة البدن ، فتستقيم حياته على الطريق السوي ، وينشأ المؤمن القوى المسهم في بناء خير أمة أخرجت للناس . ذلك أن كل مظاهر التقدم التكنولوجي إنما هي ضروب من تذليل الله سبحانه وتعالى نعمه لخير الإنسان ، وتسخيرها لخدمته ورعايته ونهضته فى البر والبحر .

من هنا يصبح استشعار واجب الشكر للمولى تعالى بعدا عقديا تكتمل به نتائج العمل الفني في ترقية الطفل ، فيستحضر تقوى الله فى السر والعلن ، في محبة وادعة ، وخشوع جميل ، يتآزر مع قيم النص الفنية والفكرية والعملية ، فى تشكيل هذه النفس

المطمئنة ، بعيدا عن القسر ، والقهر والتكلف ، وكل ما يباعد بين الطفل ونجاح النص في التأثير فيه وتنميته وترقيته ، ولنا فى القرآن الكريم وحديث رسول الله (ﷺ) خير قدوة وأعظم أسوة ، فى الاعتماد على القصص أو إبراز سلوك الشخصيات السوية ،عندما تتعامل مع الخير والشر ، مؤثرة للأول ، منكرة للثانى ، يدفعها الإخلاص والولاء والتقوى لضرب خير الأمثلة وأروعها للبشر أجمعين .

نموذج تحليلي فى ضوء ما سبق:

ويمكن من خلال عرض نموذج من نماذج مسرحيات الطفل التى تمثل توظيف الخيال العلمى فى هذا المجال ، أن نوضح كثيرا من الجوانب التى سبق إجمالها أو تفصيلها فيما سبق ، تلك هي مسرحية " زيارة من الفضاء " لأحمد المغربي وعصام إبراهيم " (١٣) .

"زيارة من الفضاء"

هذه هى المسرحية الأولى فى مجموعة بعنوان : " مسرحيات من الأدب العالمي للأطفال " ، وربما كان سر عالميتها أن لها نماذج تقترب منها فى كثير من آداب الأطفال فى اللغات المختلفة ، بالإضافة إلى أنها نموذج من نماذج اهتمامات الشعوب بوصل أطفالهم بالعلم والتكنولوجيا ، وهى تتألف من فصل واحد ، تشكله ثلاثة مشاهد ، كما أنها فى الوقت نفسه ذات " مكان واحد محدد " ، هو إحدى المناطق الخالية من السكان ذات خلفية جبلية ، وبهذا التحديد المكاني تسهم فى إقناع الطفل المتلقي ، كما تحقق التلاؤم بين " المكان " وبين هدف من أهداف المسرحية ، وهو إذكاء الروح العلمية التى هى أثر من آثار مواكبة أدب الطفل للتقدم التكنولوجي ، وتناغمه معه ، سواء فيما يتعلق باهتمام شخصيات المسرحية بالبحث عن الصخور الغريبة ، أو الاهتمام بأخبار الكواكب الأخرى ، من ثم يعد تحرى استجابة هذه المسرحية للتقدم العلمى والتكنولوجي ملمحا مميزا لها .

وهي تستثمر فكرة الخيال العلمي ، القائم على اتصال بين الأرض والكواكب الأخرى بغية تحقيق التعاون لخدمة البشر ، وكل المخلوقات ، وقد تجلى ذلك خلال *علاقتين دراميتين* ؛ أولاهما علاقة " تماثل " بين هشام وخالد فهما صديقان مهتمان بالبحث عن الصخور والأحجار الغريبة النادرة ، خاصة في بعض المناطق الجبلية الخالية من السكان ، التي هي مكان " الحدث " .

وتمتد علاقة التماثل وتتسع لتشمل هشام وطفلين من أبناء آثور هما أوسيم وأوساكا ، وآثور أحد الكواكب البعيدة عن الأرض ، ذات التقدم العلمي ، وقد اعتاد هذان الطفلان أن ينزلا بطبق طائر إلى المنطقة التي يتجول فيها هشام على الأرض بحثا عن الأحجار ، كما أن بين هؤلاء الثلاثة من المودة والمحبة ، والعهد الذي يجعل اهتماماتهم المشتركة بالبحث عن الأحجار والمعرفة المتعلقة بالكواكب أمرا يخفونه عن غيرهم حفاظا على سرية البحث والمعرفة .

أما العلاقة الثانية فهي علاقة المفارقة (أي التي تتضمن التماثل والتخالف) فهشام وخالد برغم تماثلهما

في الاهتمامات العلمية ، لكن هشام حريص على السرية خاصة فى علاقته بأبناء كوكب آثور التى لا يعلم عنها خالد شيئا ، إلا بعد تطور الحدث فى المسرحية ، كما أن اهتمام خالد بالعمل ، والبحث عن الأحجار من أجل الشهرة ، وتحقيق ذيوع الصيت ، دون تريث أو نظر إلى نتائج ذلك التى يمكن أن تجعل أبناء الكواكب الأخرى يتضايقون ، بل قد يثير موقف خالد ورغبته فى نشر الأخبار طمع الآخرين على الأرض – كالدكتور نعمان مثلا – فى أصحاب الكواكب الأخرى المسالمين ، مما يمكن أن يعود بالشر على الجميع .

وهكذا تأتى شخصية الدكتور نعمان ، وهى أقرب ما تكون لخالد نظرا لاهتمامه بالبحث عن العلم والمعرفة من أجل الشهرة وذيوع الصيت والكسب المادى .

يلاحظ هنا وجود علاقتين دراميتين ، تضمان خمسة أشخاص ، مما يجعل تقبل هذه المسرحية ملائما للأطفال فى مرحلة الطفولة المتأخرة أى من (١٠ – ١٢) سنة (١٥ : ١٥٤ ، ١٥٥) ، علما بأن هاتين

العلاقتين الدراميتين مركبتان ، بمعنى أن التماثل يتصل بالتخالف كما فى علاقة هشام بخالد مثلا .

"***فالحدث بسيط*** " يتألف من فعل له بداية – كما قرر أرسطو فى فن الشعر –. تتمثل البداية فى خروج هشام وخالد استجابة لاهتماماتهما العلمية ، بحثا عن الأحجار الغريبة ، ويأتى وسط الحدث مؤذنا بظهور التعقيد الدرامي ، إذ يحرص هشام على سرية البحث وكتمان أسرار كوكب آثور من ثم يحاول أن يأخذ عهدا على خالد ألا يذيع أخبار آثور ، عندما يهبطان بعد قليل بطبقهما الطائر كما اعتاد هشام أن يراهما ، وإن كان خالد سوف يراهما لأول مرة ، ولذلك فقد استولى عليه الخوف .

وينمو " الحدث " عندما يحتك خالد بابنى آثور اللذين يبديان سعادتهما بالنسبة لهشام الحريص على الكتمان وعدم كشف الأسرار ، بينما يدركان طبيعة خالد ورغبته فى الكشف والذيوع ، واستغلال الموقف لمصلحته ، من ثم فقد حذراه نتيجة ذلك ، لكنه يبين أن الأمر لم يعد خافيا على أحد ، خاصة الدكتور نعمان

الذى يتردد على هذا المكان بحثا عن الخلوة من أجل العلم والمعرفة ، وقد أحس الجميع فعلا بآثار شخص قادم كان هو الدكتور نعمان ، وهكذا يصل الحدث إلى " العقدة " وهى قمة التأزم ، بين حرص هشام وأوسيم وأوساكا على السرية ، وعدم انكشاف أمرهم ، ورغبة خالد والدكتور نعمان فى الكشف والذيوع ونشر المعلومات مقابل الصيت والسمعة والأجر المادي .

لكن ابنى آثور يمتلكان من وسائل التأثير ما يوقف خالد والدكتور نعمان عند الحدود التى لا تسمح بانكشاف أمرهما ، إذ استطاعا إيقاف إدراك هاتين الشخصيتين عند الحد الذى لا يتجاوز زمنيا قبيل هبوط أوسيم وأوساكا . وبذلك فقد تجمد كل من خالد والدكتور نعمان عند هذا المستوى ، حتى غادر ابنا آثور الأرض سالمين بطبقهما واختفيا ، وهذا هو " الحل " الذى بعده نجد خالد ونعمان فى نفس نقطة الإدراك التى توقفا عندها قبيل ظهور أوسيم وأوساكا ، ولعلنا نلاحظ الارتباط العضوى بين الحدث والعقدة والحل ، والارتباط المنطقى الفنى

بينهما ، وأهمية الشخوص بسماتها البيئية والفكرية وما بينها من تقابل فى الكشف عن هذا الارتباط العضوى .

كما نلاحظ أن " *الصراع* " هنا ، قد تمثل فى تعارض الإرادات بين هشام وأوسيم وأوساكا من ناحية ، وخالد والدكتور نعمان من ناحية أخرى ، كما زكى " التقابل " بين الرغبات لدى الجانبين من هذا الصراع ؛ فتجلى حرص الطرف الأول على السرية والتكتم وعدم نشر الأخبار ، بينما ظهر تمسك الطرف الثانى بالرغبة فى الاستطلاع والكشف وإذاعة أخبار كوكب آثور ، لكن الموقف حسم سريعا لصالح الطرف الأول ، بوسائله الخاصة التى تتجاوز إمكانات الطرف الثانى ، علما بأن هذه الوسائل جزء من فكرة الخيال العلمى الموظفة فى بنية هذا النص ، بناء على أن ما يملكه أبناء الكواكب الأخرى ويستطيعون به أن يؤثروا فى أبناء الأرض ، لايوجد لدى غيرهم – نتيجة تفوقهم العلمى – وهذا مما يساعد على تشكيل بنية الحدث .

ومن الجدير بالذكر أن قوة أبناء الكواكب الأخرى يجب ألا تكون مصدر تخويف وإزعاج للطفل مهما

احتاجت المسرحية أو القصة لها كي تضبط وتنظم بعض المشاعر الإنسانية ، وإنما يجب أن تقترن القوة بالمحبة ، والشدة باللين ، والحرص مع اليسر ، لما في ذلك من عون للطفل على حسن التلقي ، وإيجاد الجو النفسي الملائم لسلامة الاستيعاب ، وصحة التكيف ، والتفاعل مع النص ، فعلى سبيل المثال : في الوقت الذي كان فيه أوساكا وأوسيم يشتدان مع خالد والدكتور نعمان ، فيوقفان حركتهما تجنبا لما يمكن أن يحدثاه من شر ، ولما لاحظاه عليهما من بعد عن التوجه السوي في استخدام العلم والمعرفة لخدمة الإنسان ، وتحقيق الأمن له والحرص على سلامة الآخرين ، فقد كانا هما نفساهما أوساكا وأوسيم يبذلان الود والمحبة لهشام ، لما أنساه فيه من مودة ، وما لقياه لديه من إخلاص للعلم وأهله ، وحرصه على سلامة غيره وأمنه وراحته ، بل ووجوب التعاون بين كل المخلوقات رعاية وخدمة لها .

ولاشك أن ذلك التباين في أسلوب التعامل بناء على منطقية الفعل ونتيجته ، مما يقنع الطفل بكثير من هذه المبادئ ، ويشبع اهتماماته بتحقيق العدل عن طريق

الثواب والعقاب ، كما يغرس هذه المبادئ فـــى نفســه حاصة وطفل هذه المرحلـــة يمكنـــه إدراك العلاقـــات المنطقية القائمة على مثل هذه الأنواع مـــن الســلوك ، وكل ذلك ذو صلة وثيقة بطبيعة الصراع فى المسرحية وترشيده وتوجيهه وجهة سوية ، تحقق التوازن للحدث ، وبه تتكامل جهود الشخصيات وينتصر الخير ، لإقنـــاع الطفل بالقيم والمبادئ التى يراد غرسها فيـــه ، بجـــانب وصله بالعلم وتحبيبه إليه .

بل لقد كان تقدير أوساكا عظيمـــا لجـــهود أهـــل الأرض ، عندما شاهدا القمر الصناعي الذى رأيا فيـــه سلامة وجدية أهل الأرض وفاعليتـــهم فـــى البحـــث العلمى ، وتيسير سبل الحياة للكشف وتحقيق التقدم وأنهم على الطريق الصحيح .

وتتآزر الآراء السابقة لأبناء كوكب آثور للكشـــف عن سلامة واستقامة أبناء الكواكب الأخرى ، مما يحـث الطفل على الحب والتعاون فى مختلف مجالات الحيـــاة العلمية والتكنولوجية ، خدمة للمخلوقات جميعها .

إذا كانت هذه هى بعض ملامح البناء الفني لهذه المسرحية ، فما أهدافه ؟ وكيف كشفت عناصره الدرامية عنها ؟

على المستوى الإنساني العام ، يمكن أن يكون إزكاء الروح العلمية والتعاون فى هذا المجال ، وجدية البحث فى مقدمة ما تبتغى هذه المسرحية غرسه فى نفوس أطفالنا ، وتنميتهم للتعود على الصبر وعدم التسرع فى إذاعة نتائج البحث العلمى حتى ينضج ، ويحقق ما يناط به من أهداف خدمة للبشرية ، وتصد لما يواجهها من مشكلات تعوق تقدمها ، وتسخيرها لما هيأه الله لها من نعم ومنافع .

من هنا كان " التقابل " بين الشخصيات من بين الوسائل لتحقيق تلك الأهداف خلال هذا البناء الدرامى .

وعلى المستوى الخاص يمكن أن يكون تحقيق العدل ؛ بمكافأة المحسن وعقاب المسيء ، حيث توطدت علاقة هشام بابنى آثور ، أوسيم وأوساكا ، فقد كان وفيا لعهدهما ، محافظا على أسرارهما ، بينما خالد والدكتور

نعمان تجمدت حالتهما عند مستوى بداية الحدث ، وبذلك حرما من متعة الكشف والمعرفة التى يحرصان عليها ، وإن كانت بالنسبة لهما رغبة خاصة وليس مطمحا إنسانيا .

كما يرتبط بما سبق الحفاظ على العهد والوفاء به ، والولاء للمبدأ فى حياة تحتاج إلى هذه القيم لبنائها وتحقيق السعادة للمخلصين الحافظين للعهود والأوفياء للمبادئ .

وهكذا يتحقق ، وصل الطفل بالتقدم العلمى ، واستثارة معارفه حول تكنولوجيا الاتصالات والبحث فى الفضاء ، كملمح جعل عالمنا الكبير قرية صغيرة ، مما يتطلب منه تهيئا خاصا لممارسة الحياة ، والنظر إليها فى سرعة حركتها وتقدمها ، حتى يتسنم المكانة اللائقة به فى ميادين بناء أمته ونهضتها ، فاعلا غير خامل ، ورائدا غير تابع .

كما يأتى شكر الله على ما أنعم به علينا من فضل وعلم ، وما ذلل لنا من وسائل التقدم والسيطرة على

الحياة لنفع البشرية وخيرها ، أسلوب حياة لأبناء أمة يخلصون ويتواضعون ، وتتسع قيمهم ومبادئهم للدنيا كلها ، عملا وبناء وبرا ومعروفا .

اللغة :

تحقق اللغة الموظفة فى مثل هذا اللون من مسرحيات أدب الأطفال فى هذا المجال الإنساني المعرفي ، مستوى من التوازن بين ما تحمله من فكر علمي ، وقيم أخلاقية ، وإبرازه فى ثوب أدبي لتشكيل بنية النص تشكيلا يحقق الأهداف المنوطة به فى ترقية الطفل وبنائه ، ونموه .

فما طبيعة اللغة الموظفة فى هذه المسرحية للكشف عن التناغم المعرفي الإنساني بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي ، وهل حققت هذه اللغة الغايات المنوطة بهذه المسرحية ؟

يحاول المخلصون للطفل أن يجعلوه يتدرج لغويا ليتمكن من صياغة التركيبات الخاصة به من لغته الأم

لاكتساب ما يسمى " بالكفاءة اللغوية " ، وبذلك يصبح له القدرة على التطبيق اللغوى تدريجيا ، خاصة عندما يتصل بالأمثلة والحوافز التى تقدمها له البيئة : الأسرة والمدرسة والمجتمع ، حيث يتيح له جهازه الفطري للفهم اللغوي اختيار وتنسيق العناصر المختلفة (٥ : ١٧ ، ١٨) فتنمو لغته وترقى فكرا وصورة .

بل إن ضعف قدرات الطفل التعبيرية يتطلب منا وضع أهداف على المدى القريب والبعيد ، لتجاوز ذلك، ومن بين الوسائل المعينة على هذا التجاوز اختيار النصوص الأدبية الملائمة بعد إثارة اهتمام الطفل لحديث الآخرين ، وقد يتطلب منا ذلك تشجيعه على اللعب والرسم ، واستخدام لغات غير لفظية حتى نهيئه لاستقبال النصوص الأدبية الملائمة لمستواه ، وبذلك نضع نصب أعيننا إمكانات التطور المستقبلية وتنمية الطفل للكفاءة اللغوية (٥ : ١٤٩) ، التى تحقق له الانسجام مع واقعه وبيئته لغويا وفكريا ، وبالتالي التفاعل مع الحياة بمستجداتها العلمية والتكنولوجية .

ويمكن أن ننظر إلى لغة هـــذه المســرحية فــى مستويين :

أولا : المستوى التركيبي :

سوف نجد أن مثل هذه المسرحيات توظف عــددا من المصطلحات العلمية التى يمكن أن تسهم فى تشــكيل بنية الحدث ، للإيحاء بجو علمي تتفاعل معه شــخصيات المسرحية ، لتوثيق اتصال الطفل بــالتقدم التكنولوجــي مثل : الأقمار الصناعية – المركبة الفضائية – ســفينة الفضاء – الطبق الطائر – طاقــة الأشــعة الكونيــة – الجبال – الصخور – الأحجار ، كما نجد بجوار ذلــك : الحضارة – المغامرة – الهبوط – الصعود – الفضاء – ، وإذا كانت المجموعة الأولى يغلــب عليــها الجــانب المادي العيني ، فإن المجموعة الثانيــة يغلــب عليــها الجانب المعنوي .. ، ومن الاحتكاك والتفاعل بين هذيــن الجانبين من المصطلحات والمفــردات ، خــلال بنــاء المسرحية تتشكل الفكرة العلمية التى ينبني عليها حــدث المسرحية مزيجا من الخيال والواقع .

وهى مصطلحات تتميز مفرداتـــها بالوضـــوح واليسر ، وإن كانت ذات خلفية علمية يمكن أن تتضـــح بجلاء خلال استخدام النص لها ، كاشفا عن مدلولاتـــها العلمية بطريقة ميسرة ، لا تسبب للطفل المتلقي عســـرا فى الفهم ، أو تعطل تذوقه الوجداني عن التمتع بالنص ، لأنها تسهم فى نمو الحـــدث ، وهكـــذا يتـــم الاتضـــاح والانكشاف المعرفي متبادلا بين الحدث والمصطلحـــات المشكلة له .

وإذا كان من الطبيعي أن يطول الحـــوار شـــرحا وتفصيلا ، ولكن جمله تتميز غالبا بالقصر ، ووضـــوح أركانها ، دون تقديم أو تأخير ، ينجم عنه غمـــوض أو لبس ، كما يقترن طول الحـــوار ، بســـهولة الكلمـــات ووضوح الفكرة ، برغم ما قد يتضمنـــه النـــص مـــن مصطلحات علمية ، مع اســـتخدام علامـــات الـــترقيم استخداما سليما خاصة النقاط المتتابعة التـــى يمكـــن أن تكشف عن تدفق تيار الوعى ، بالإضافة إلى علامـــات التعجب والاستفهام ، وذلك بالنسبة للطفل القارئ للنـــص أو المستمع له المشاهد للعرض المسرحي ، وهـــو مـــا

يمكن أن يستثمره مخرج المسرحية فى تدريب الممثلين عليها بما يضئ كثيرا من جوانبها .

وبرغم ما يتضمنه النص من مصطلحات علمية فهو لا يتجرد من المشاعر والعواطف التى تكشف عنها الشخصيات تجاه بعضها . كشفا عن العلاقات خلال مجموعة من " ***التقابلات*** " ، ليتجلى الخير فى الوفاء والصداقة والإخلاص والمودة والأمانة ، ويندحر الشر متمثلا فى الغدر والخيانة والتخلى عن القيم والمبادئ ، كما يتمثل الطفل الفكرة العلمية التكنولوجية ، وهى هنا أهمية البحث والتعاون العلمى بين الكواكب المختلفة ، واكتشاف أرجاء الفضاء ، وما سخر الله للإنسان من نعم وفضل ، وهكذا يتم التمثل اللغوي الدلالي للنص محققا النمو المعرفي ، ومتعة الوجدان ، وثراء الفكر .

وكم كنت أتمنى أن أرى فى هذا المجال مسرحيات شعرية ، لأن لغتها توازر العناصر الدرامية ، فتعلى من فنية النص المسرحي ، مما يثرى وجدان الطفل المتلقي (١٧ : ٢٨ ، ٢٩) إذا روعي التقديم الملائم ، لأن أدب الطفل يعتبر جزءا من عالم الأدب الأكبر ، ويمكن

كتابته وقراءته ودراسته ، وتحليله وتعليمـــه وشـيوعه كأدب الكبار ، ولكن بما يناسب الأطفال (١٨ : ٦٠) .

ثانيا : المستوى التصويري للنص :

الحرص على فنية اللغة المناسبة للطفل أمر مهم ، لتحقيق متعة الطفل الوجدانية ، وصقل مشاعره وتنميـة ذوقه ، ودربته فى هذا المجال ، كما يتم التمثل الدلالـي اللغوي للنص ، فيتحقق كثير من الأهداف المنوطة بـه ، وهكذا يتهيأ الطفل للتفاعل مع ما يقدمه له النـص مـن أفكار علمية ومسائل تكنولوجية تناسب المرحلة السـنية التى يمر بها هذا الطفل ، فيستوعب ويتكيف ويتـلاءم ، ويتحقق فى الوقت نفسه النمو المعرفي المرجو .

وسنجد أن معظم الصور فى هذا النص تحكمـها مكوناته : الفكرة العلمية التكنولوجيـة ، التـى يحملـها النص ، وتشكيل البناء الدرامي الفاعل ، والتـأثير فـى الطفل متلقي النص عقلا ووجدانا ، والصياغة اللغويـة المسهمة فى تنمية كفاءة الطفل اللغوية وتحقيقها ، ويمكن أن ندلل على ذلك بتحليل صورتين فقط من صور هـذا

النص المتعددة ، المترابطة خاصة بعد أن حقق هذا النص كثيرا من الخصائص المنوطة به ، باختيار لغة ذات انسجام واتساق بين صورها التعبيرية وتراكيبها ، لتنطق بها شخصيات متوافقة منطقا وسلوكا ، من هنا كانت الصور ملائمة كاشفة ، محققة التفاعل بين الطفل المتلقي والنص ، مثرية لفكره ، منمية لذوقه ، صاقلة لمشاعره . فعندما فكر خالد فى العودة ، بينما هشام يصر على البقاء فى هذا المكان المعزول بحثا عن الأحجار وانتظارا لوصول أوساكا وأوسيم ، يقول له خالد : " إن هذه الأحجار الملعونة قد لعبت برأسك " (زيارة فى الفضاء ص ٥) ، من المعروف أن الصورة البيانية تكون أكثر إثارة وتأثيرا فى المتلقي كلما كانت أكثر طرافة بتباعد أطرافها ، وغرابتها ، التى لا تتجاوز الممكن عقلا ، من هنا كانت علاقات هذه الصورة بين "الأحجار واللعنة ، واللعب بالرأس " ، لتأكيد فكرة الاستثارة والدهشة والاستيلاء عليه ، وفى الوقت نفسه تتناول القضية المتمثلة فى اهتمام خالد وهشام بالبحث عن الأحجار الغريبة التى يمكن أن تكون ذات قيمة

علمية ، بالإضافة إلى اهتمامها بالفضاء والكواكب الأخرى غير الأرض.

هكذا تحقق الصورة جانب المتعة الوجدانية وإثراء الفكر ، وإشباع الاهتمامات العلمية ، وبذلك تنسجم هذه الصورة مع جو النص كله ، وتحقق تقدما فى العلاقة بين شخصياته ، وبها قد نما الحدث ، منتقلا من مرحلة بدايته إلى مرحلة توسطه ، مؤذنا ببداية الصراع .

بل إن صورة أخرى تأتى بعد هذه الصورة السابقة فى الصفحة نفسها ، وتتصل بها ، من ثم تكشف تصاعد الموقف ، ونمو الحركة الدرامية مما يوضح فاعلية الصورة فى بناء المسرحية ، وذلك عندما يكاشف هشام خالد بأمر اقتراب موعد هبوط أوسيم وأوساكا ، ويحاول أخذ عهد عليه ، ألا يبوح بهذه الأسرار ، ويقسم خالد لهشام على الكتمان ، ويقول له : " لن أتكلم ، والآن أخبرنى .. " أحترق شوقا " .

ونلاحظ فى هذه الجملة الحوارية فاعلية " الزمان " فى تشكيل الحدث وتصاعد الدرامية فيه ، حيث تبدأ

الجملة الحوارية بالنفى المطلق (لن) ويتصل ذلك بالحاضر (الآن) ، لتأكيد صدق العهد والوعد ، ثم (نقطتان متجاورتان) لإثراء تدفق تيار الوعي بما يمكن أن يتصوره المتلقي من صدق الوعد ، والرغبة اللهيفة من جانب خالد فى المعرفة وحب الاستطلاع ، ثم تأتى الصورة " أحترق شوقا " لتمثل قمة انفعال خالد بالموقف ، على أساس عقد علاقة بين المعنوي (الشوق) والمادي (الاحتراق) وهما طرفان متباعدان ، وإن كان يمكن أن يجتمعا عقلا وتصورا ، مما يجعل هذه الصورة تضاعف من إحساس المتلقي الطفل بما لدى خالد من رغبة شديدة فى المعرفة والكشف ، والاتصال بخفايا الموقف ، وكل هذا يدور حول صلة أبناء كوكب آثور بهشام ، أو بمعنى أوضح صلتهم بكوكب الأرض ، ووسائل ذلك الاتصال ، وهى الفكرة العلمية التى تحاول المسرحية نقلها للطفل ، بإعطائه بعض التصورات الخيالية العلمية عن هذه العلاقة ، إلى غير ذلك من مكونات النص التى تحكم معظم الصور ، كما أشرنا سابقا .

وبرغم ما فى الصورتين المشار إليهما من حشد للدهشة والغرابة والطرافة ، لكنهما تتألفان من مفردات يعيشها طفل هذه المرحلة ، بل قد لا تخرج معظمها عن معجمه اللغوي : [الأحجار – اللعنة – اللعب – الرأس – الشوق – الاحتراق] مما يجعل تمثل الطفل للنص وتفاعله معه أمرا ميسرا ، لتحقيق الأهداف المرجوة منه خاصة بالنسبة لمرحلة الطفولة المتأخرة التى تناسبها هذه المسرحية .

تقويم:

وبرغم ما حققته هذه المسرحية من إيجابيات فى مواكبة التقدم العلمى ، لكنها لم تخل من بعض جوانب القصور التى يمكن أن يكون لها مردود سلبي على الطفل .

وإذا كنا نعلم الطفل اللغة من خلال هذه النصوص فيجب أن نحرص على سلامة هذه اللغة ، وألا تكون الرغبة فى التيسير والتسهيل والتبسيط وسيلة للتجاوز والخطأ ، كما حدث فى عدم التطابق أحيانا بين أركان

الجمل ، أو استخدام المكملات استخدما لا يزاعى هـــذا التطابق من حيث الإفراد والتثنية والجمع .

مثل : : وما الذي جاءوا ليفعلوه علـــى الأرض ؟ ص ٨ مع أنه يتحدث عن مثنى هما أوساكا وأوســيم ، فالصواب .. وما الذي جاءا ليفعـــلاه علـــى الأرض ؟ أوماذا سيفعلان على الأرض ؟ .

-وكذلك أوساكا وأوسيم يلبسان بـــدلا فضائيـــة .. ص٩ والصواب .. يلبسان بدلتين فضائيتين .

-وكذلك هل أنت متأكد أنهما لن يصيبونا بـــأذى ؟ ص ٩والصواب يصيبانا .. وربمـــا أراد النـــص هنـــا بالجمع أهل كوكب آثور .

وقد تدفع الرغبة فى التيسير إلى تسطيح العبارة أو الاستعانة بتراكيب وصور ليست من اللغة الفصيحة مثل [تكلم والسر فى بير] ص ٥ ، فالأفضل والسر خفى أو هو فى غاية الحفظ والصون ، أو تستخدم أدوات نفـــى قاطعة فى هذا المجال مثـــل [لـــن أبـــوح بالســـر] .. وهكـــذا ، أما " السر فى بير " فبرغم ما قد يكون فيـــها

من سلامة نحوية ، لكنها أقرب إلى الاستخدام العامي لا الفصيح ، على مستوى الصورة والتركيب ، بالإضافة إلى ما فى (بير) من تخفيف للهمزة لا مسوغ له إلا الخضوع للاستخدام العامي للعبارة .

الطباعة ومستوى الإخراج الفني :

يجب أن يولى القائمون على أمر طباعة كتب الأطفال اهتماما كبيرا لمستوى الإخراج الفني لهذه الكتب من حيث الحروف وحجمها ، والألوان المستخدمة وطبيعة الصور المزودة بها هذه الكتب ، وطريقة العرض لهذه الوسائل المعينة ، وتشكيل الغلاف ، ونوعية الورق المصنوع منه هذا الغلاف وبقية الكتاب .

فشكل الحروف وحجمها يجب أن يكون ملائما للأطفال يريح النظر ، فلا يكون هناك ميل كبير للخط يعوق الرؤية ، كما أنه يجب أن يتمايز حجم هذه الحروف حسب المرحلة السنية ، فمرحلة الطفولة المبكرة يناسبها أن تكون مساحة الصور أكثر من مساحة الكلمات ، فى الصفحة الواحدة ، وأن تكون هذه

الكلمات ذات بنط عريض ، وحبذا لو روعى فى الصور أن تكون بسيطة سهلة تتناول الشخصية كاملة ، بمفردها مثلا ، بقدر الإمكان ، لأن تعدد الشخصيات فى الصورة قد لا يسمح لأطفال المرحلة المتقدمة بحسن الاستيعاب . هذا بالإضافة إلى وجوب أن تكون الصلة بين الصورة والكلمة قوية حتى يتآزرا فى الكشف والإبانة عن الفكرة ، وتحقيق الهدف منهما ، خاصة وتصوير الأفكار يعين الأطفال على استعادة صنع ما اختزنوه من صور ، وبعض كتب الأطفال المصورة تقود لموضوعات الفن وتفسيراتها (١٩ : ١٦٩ ، ١٧٠) ، والألوان يجب أن تكون متآلفة ومما يريح النظر ويجذب الانتباه فى الوقت نفسه .

بل هناك من الكتب ما يشكل منظرا مفيدا ممتعا جذابا عند فتحه ، مع كلمات قلائل ، وقد يرتبط بإصدار بعض أصوات الحيوانات التى قد يكون الهدف من الكتاب التعريف بها مثلا ، أما غلاف مثل هذه الكتب فيجب أن يتحمل استخدامات الطفل من حيث نوعية الورق ، وأن يتولى إعداده وإخراجه فنيون

متخصصون ، حتى يلفتوا انتباه الأطفال إلى مثل هـــذه الكتب بألوانها ورسومها وصورها وخطوطـــها ، ومـــع تعدد مراحل الطفولة من مبكرة إلى متوسطة إلى متأخرة تتباين مستويات هذه الكتب من حيث الطباعة والمستوى الفنى.

وبالنسبة لمسرحية " زيارة من الفضاء " ، فرغـــم أنها كتبت لتمثل ، لكن قراءتها واردة والاهتمام بها على هذا الأساس أيضا يجب أن يراعى ، فهى ككتاب بحاجـة إلى مزيد عناية بطريقة كتابتها ، حيـــث إن الصفحـــات مزدحمة بالكلمات ، وهى بحاجة إلى مزيد من التنســـيق فى العرض والتقديم ، ومصاحبة الصـــــور كوسيـــلة إيضاح ، بحيث يراعى فى الصور الكشف ، ومـــؤازرة الفكرة ، وحسن التنسيق وألا تزدحم الصفحات بالكلمات بما يتلاءم ومرحلة الطفولة المتأخرة التى تناسبها هـــذه المسرحية .

حقا هى مسرحية ، والمخرج المتخصص سـيتكفل بالمهام الفنية للإخراج المسرحى ، لكنها فى الوقت نفسه

لابد أن تكون مهيأة ليقرأها الطفل ، لتحقق مزيدا من الفائدة على مستوى القراءة أو التمثيل .

وهكذا يمكن أن تحقق المسرحية مقروءة وممثلة كثيرا من أهدافها فى تنمية الطفل وترقيته ، وتحقيق النمو المعرفي ، والكفاءة اللغوية ، والمتعة الوجدانية ، ليتهيأ الطفل لممارسة حياته المرجوة فى مستقبل سعيد له وبه فى عصر التقدم التكنولوجي .

أهم المصادر والمراجع :

أولا : باللغة العربية :

١- القرآن الكريم [سورة آل عمران آية ١١٠] .

٢- أدب الأطفال :د. أحمد حسن حنورة مكتبة الفلاح - الكويت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٣- اتصالات الفضاء : حمدى قنديل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٥م

٤- أسس علم النفس : د. نعمة عبد الكريم أحمد دار الفكر الجامعي الإسكندرية سنة ١٩٩٢م.

٥- التربية اللغوية للطفل : سرجيوسبيني ترجمة فوزى عيسى وعبد الفتاح حسن مراجعة د. كاميليا عبد الفتاح دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٩١م.

٦- تطور الطفل عند بياجيه : د. غسان يعقوب دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨٢م.

٧- التطور المعرفى عند جان بياجيه : موريس شربل ط٢ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٨- التعبير الدرامى : د. سعد أبو الرضا ط٣ المجموعة المتحدة القاهرة سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م

٩- سيكولوجية التذوق الفنى : د. مصري عبد الحميد حنورة - منشورات جماعة علم النفس التكاملي بإشراف د. يوسف مراد دار المعارف القاهرة ب. ت .

١٠- الطفل وعالمه الأدبى : د. عبد الرءوف أبو السعد ط١ دار المعارف القاهرة سنة ١٩٩٤م.

١١-علم نفس النمو : د. حامد زهران نشر عالم الكتب القاهرة ط٦ سنة ١٩٨٦م.

١٢- القاضي جحا : المسرح الشعري للأطفال :أحمد سويلم مؤسسة الخليج العربي القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

١٣-مسرحيات الأدب العالمي للأطفال " الفطائر الخمس " ، " الرنين والدخان " : أحمد المغربي وعصلم إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٩١م.

١٤-مسرح الطفل : " حكاية لم تنته بعد " ، " حرب لا تنتهي " حازم شحاته منشورات الغالي ، المكتب العربي للمعارف القاهرة سنة ١٩٩٣م . علما بأن هذه المسرحيات بحاجة إلى إعادة النظر فى تشكيلها لتقويمها

١٥- النص الأدبي للأطفال أهدافه ، ومصادره ، وسماته : د. سعد أبو الرضا نشر رابطة الأدب الإسلامي العالمية ط. دار البشير عمان الأردن سنة ١٩٩٣ م.

١٦- النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر القاهرة ب. ت.

(17) Satyan J.L. The elements of drama Cambridge – University press reperented 1976 P. 28-29 .

(18) Margarit R Marshal an introduction to the world at childrens books 2nd edition P. 60 .

(19) Mary Ann Powlin creative uses of children's literature with aforward by marilyn miller printed in the United States of America P. 169-170 .

الفصل الرابع
أثر
الدراسات النفسية للطفل
فيما يقدم له من قصص

أدب الأطفال عالم كبير

إن أدب الأطفـــال جزء من الأدب بصفة عامة , لكن لـــه من الخصائص والسمات ما يميزه عن أدب الكبار , مـــن حيث مستويات التعبير , برغم كون الجمالية شرطا مهما في ذلك الأدب , وكذلك بالنسبة إلى طريقة معالجة القضايا خلال فنونه الأدبية المختلفة , كالتمثيلية والقصة والأنشودة وغيرها , وأيضا بالنظر إلى الجوانب الفكرية التي ينبغي أن نقدمها لأطفالنا .

اختلاف أدب الأطفال عن أدب الكبار :

فمن حيث مستويات التعبير فله خصائصه النوعية , التي تميزه عن أدب الكبار , والأمر هنا يتجاوز التبسيط والتيسـير , إلـــى تحقـــيق هـــذه الخصائص التعبيرية , كـــي يكون هذا الأدب ملائما للأطفال في مراحل عمرهم المختلفة المبكرة من ٣ : ٦ سنـــوات , والمتوسطة مـــن

٧ : ٩ سنوات ، والمتأخرة من ١٠ : ١٢ سنة ، من حيث طبيعة الجملة – قصرا وطولا ، ووضوح العلاقة بين أركانها واعتمادها على الاسمية أو الفعلية ، والروابط التي تربط بين هذه الجمل ، واستخدام علامات الترقيم بالكيفية التي تجعلها معينة على تجسيد المعنى وإيصاله إلى عقل هذا الطفل ، بل وطبيعة الكلمات المستخدمة من حيث عدد حروفها ، وتآزرها خلال الجمل وتكرير بعضها ، أو البدء ببعضها ، وقلة الجمل الاعتراضية التى تعوق فهمه ، وتتبعه للمعنى وتذوقه للنص ، وغير ذلك من جوانب الصياغة التي يجب أن تتآزر لتجلى النص الأدبي للطفل ، فى وحدة فنية تتجه إلى عقله ووجدانه ، فتشبع اهتماماته ، وتلبى احتياجاته ، وتحمل له من القيم والمبادئ ما نريد غرسها وتنميتها في أطفالنا ، لتحقيق السلوك السوي ، وبنائهم وتأهيلهم لما يناط بهم في مجتمعاتهم من مهام مستقبلية .

وهنا تبرز أهمية طريقة المعالجة للقضايا خلال فنون أدب الأطفال ، وبرغم أن التمثيلية والقصة والأنشودة ، وغيرها من فنون الأدب ، وسائل مهمة ،

لكن الاستفادة من نتائج الدراسات النفسية للأطفال سواء فيما يتعلق بالنمو أوالسلوك جديرة بالاعتبار ونحن نتصدى لكتابة هذه الفنون ، حتى يتحقق التلاؤم السوي المرجو بين الشكل الفني وعلاقاته ، والمرحلة السنية التي يقدم لها ؛ فعلى سبيل المثال قد تبنى القصة على علاقة واحدة بين طرفين ، فتكون ملائمة لمرحلة الطفولة المبكرة ، بينما لو تعقدت هذه العلاقة وتعددت أطرافها ، فقد لا تكون القصة مناسبة إلا لمرحلة الطفولة المتأخرة وهكذا .

وهنا يمكن أن نضرب مثلا بإحدى قصص الأطفال التي صدرت فى ملحق ": المختار الإسلامي " الذي صدر فى القاهرة ويتخذ له عنوانا : " زمزم " العدد ١٦٦ فى ١٥ صفر ١٤١٢ هـ ١٤ أغسطس ١٩٩٢ م . أما عنوان القصة فهو شهادة براءة يوسف (عليه السلام) لمؤلفها عماد الدين شرف ، وتشغل ثلاث صفحات من هذا الملحق من ص ١٦ : ص ١٨ ، ويرافقها صورة كبيرة لرأسي بقرتين ، إحداهما ضعيفة ، والأخرى قوية ، وكذلك صورة لسنبلتي قمح ، إحداهما هزيلة ،

والأخرى ممتلئة ، وهذه القصة مستمدة من قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) الواردة فى سورة يوسف فى القرآن الكريم ، كما أنها مزودة بعشر آيات من هذه السورة من الآية ٤٣ : ٥٣ وتقوم هذه القصة على ثلاث علاقات هى : علاقة يوسف بامرأة العزيز ، ثم علاقته عليه السلام بالفتيين اللذين دخلا معه السجن ، وأخيرا علاقته بالعزيز نفسه ، وبرغم أن هذه العلاقات يشكلها تاريخ القصة كما وردت فى القرآن الكريم ، لكنها هي التى جسدت الحدث وترابطه ، لينتهي بإثبات براءة يوسف (عليه السلام) فى هذه القصة الإسلامية .

مثل هذه القصة بتعدد علاقاتها على هذا النحو ، لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، لأن أطفال هذه المرحلة تركيزهم محدود ، واستيعابهم أقل بينما تعدد هذه العلاقات يحتاج إلى إدراك أقوى ، وتركيز أشد ، ومستوى من الاستيعاب أكبر ، لا يتحقق إلا لأطفال في نهاية مرحلة الطفولة المتوسطة ، ومرحلة الطفولة المتأخرة .

وكذلك فإن عدد الشخصيات فى القصة أو التمثيلية لابد أن يكون مناسبا لمستوى إدراك الطفل ، فكثرة الشخصيات مثلا قد لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، إذ تشتت اهتمامات ذلك الطفل .

بل هناك من الأهداف والغايات التى تحددها نتائج علم نفس الطفل ، كإشباع الإحساس بالفقد الذي يصاحب الطفل في نموه ، وهو يتأهب للاتصال بالآخرين فى دور الحضانة تاركا مؤقتا الوالدين ، هنا تكون القصة التي تعوض ذلك الإحساس بإبرازها مثلا لعلاقات الأصدقاء الأوفياء الأسوياء مشبعة لميل الطفل فى البحث عن البديل الذي قد يحتاج إليه ، عندما يكون خارج المنزل ، أو قد تتضمن القصة وجود ما يمكن أن يكون قد افتقده بطل القصة أو التمثيلية من مقتنيات ، هنا يشكل هذا الإيجاد والوصول إلى المفتقد شيئا من الراحة النفسية للطفل ، وكذلك فإن معاقبة المسيء ، ومكافأة المصيب ، يحقق العدل وهو مما يريح نفسية الطفل ، إذا أدرك ذلك خلال تمثيلية أو قصة .

وهكذا تسهم فنون أدب الطفل فى تكوينه التكوين النفسي السوي البعيد عن العقد والمشكلات ، التى يمكن أن تسبب الأمراض النفسية للطفل .

وجماليات الإيقاع من مزايا هذا الأدب كما في التكرير مثلا ، أو الأوزان القصيرة ، ومجزوءاتها التي يميل إليها الأطفال لسهولتها سماعا وحفظا في كل مراحلهم ، منذ نشأتهم حتى يصلوا إلى مرحلة الصبا ، وغير ذلك من وسائل الإيقاع المختلفة ، بل إن هذه النواحي الجمالية الإيقاعية لما يرقق مشاعر الأطفال ويملأ نفوسهم هدوءا وطمأنينة .

طبيعة الكتابة فى أدب الأطفال :

مماسبق ندرك أن أدب الأطفال فى صيغته المقروءة ، قد أثر فى أسلوب القصة والتمثيلية والأنشودة شكلا ومضمونا ، وهو مايؤكد فى الوقت نفسه أن الكتابة للأطفال ليست عملية سهلة ، لأنها لا تحتاج إلى الموهبة الفنية فحسب بل لابد من الاستفادة من نتائج العلوم والدراسات الإنسانية كعلم النفس ، وعلم

الاجتماع ، وعلم الجمال ، وغيرها ، كما تتطلب خبرة بالأطفال ومتغيرات حياتهم ، خاصة وأن الكبار هم الذين يكتبون لهؤلاء الأطفال ، وقد تجاوزوا هذه السن بمراحل زمنية طويلة .

فهناك مثلا من يزال لا يدرك أن مرحلة الطفولة تنقسم إلى ثلاث مراحل : المبكرة ، والمتوسطة ، والمتأخرة ، بل هناك من يمد مرحلة الطفولة خطأ إلى سن الخامسة عشرة ، وهذه المراحل العمرية المتباينة نفسيا وجسميا وتربويا وإدراكيا ، تستلزم التباين فيما يقدم لأطفال هذه المراحل من أدب وفكر ، حتى يلائمهم عقلياً ، ويشبع حاجاتهم النفسية ، فيقبلوا عليه بشغف وحب .

وهنا نؤكد على وجوب تحديد المرحلة السنية التي يناسبها هذا العمل الأدبي قصة أو تمثيلية أو أنشودة ما ، وغير ذلك ، بل يجب أن تحدد هذه المرحلة السنية على غلاف الكتاب الذى نخصصه لأطفالنا ، وذلك بخط واضح حتى يسهل على الآباء والمهتمين بأمر الطفل اختيار الكتاب المناسب له ، ليقرأه أو ليتصل به عن

طريق حكاية الآخرين له مثلا، أو ليقوم الأطفال بتمثيله ، أو يقوم الطفل نفسه بشرائه أو اختياره من مكتبة المدرسة أو غيرها من المكتبات خارج المدرسة .

أثر الرسوم والصور والألوان فى أدب الأطفال :

ومما يضاعف من فاعلية فنون أدب الطفل المختلفة اقترانها بالرسوم التوضيحية التى تساعد فى تجسيد الأفكار ، بعد أن تجتذب هذه الرسوم وتلك الصور الطفل بمكوناتها وألوانها ؛ وهذه الصور لابد أن تتناسب مع مراحل عمر الطفل ، فالصورة الكثيرة التفاصيل قد لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، ويصعب على إدراك طفل هذه المرحلة الوصول إلى مضمونها ، فلاتتحقق غايتها من اقترانها بالقصة التى ترتبط بها .

من هنا تتجلى أهمية الرسوم والصور والأشكال التوضيحية ، التى ترافق القصص والأناشيد أو عرض المسرحيات ، ووجوب رعاية مكوناتها وألوانها ، بل إن صورة جذابة بألوانها ورسومها ، وملائمة بعلاقات

مكوناتها للمرحلة التى تقدم لها ، عندما توضع على غلاف قصة ما مثلا ، قد تكون دافعة للطفل على الإقبال على قراءتها والاستفادة منها ، وتحقيق تأثيرها الفاعل فى عقله ووجدانه .

وهذا يؤدى بنا من ناحية أخرى إلى إدراك مدى خطورة أفلام الكرتون والرسوم المتحركة التى تقدمها الإذاعات المرئية لأطفالنا ، من حيث تأثيرها فيهم خاصة وكثير منها قد أعد لأطفال آخرين غير أطفالنا وبيئتهم غير بيئتنا ، ومعتقداتهم غير معتقداتنا ، لذلك فنحن نطمح فى وجود شركات عربية إسلامية يكتب لها مؤلفون يرعون ربهم ، ودينهم الإسلامي ، ولغتهم العربية ، وتأخذهم الغيرة على أطفالنا ، ومن تعاون وتآزر هؤلاء وأولئك سوف نجد بإذن الله ما يحقق ما نأمله ونرجوه من غايات وأهداف تبنى أطفالنا ، وتحفظ لهم دينهم ، ولغتهم ومعتقداتهم .

هل يتضمن تراثنا نماذج لأدب الأطفال ؟:

لاشك أن تراثنا يكاد يخلو من أدب الأطفال المكتوب ، لكن الذي لاشك فيه أيضا ، هو إدراك أسلافنا وأجدادنا أهمية مثل هذا النوع الأدبي للأطفال ، فكم من أمهات كن يسلين أطفالهن بالحكايات ، وكم من الأمهات كن ينمن أطفالهن على نغمات أصواتهن ، سواء اقترنت بكلمات موزونة أو مجرد أنغام متناسقة ، وكم من الآباء كانوا يقصون على أبنائهم الصغار .. بل على أفراد الأسرة جوانب من كفاحهم اليومي ، بل إن هناك من يرى أن هذه الفكرة الأخيرة قد لازمت الإنسان منذ نشأته .

هنا يتجلى لنا عظمة مسلك بعض سلفنا الصالح وهم يعنون بتأديب أطفالهم بالمؤدبين الذين يحفظونهم القرآن الكريم ، وقصائد الشعر الخفيفة الإيقاع ، وليست نصيحة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ببعيدة علينا ، وهو يوصى بتعليم الأبناء رواية الشعر والسباحة والرماية وركوب الخيل ، وغير ذلك من النماذج التى نجدها في تراثنا .

حقا إن أدب الأطفال متغير من أهم متغيرات حياتنا اليوم ، وإذا كان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى من أوائل من اهتموا بذلك ، وهو يصدر مجلة " روضة المدارس " في القرن الماضي في مصر ، لكن الذي لاشك فيه أن المؤسسات التي تهتم بالطفل وما أكثرها على مستوى عالمنا العربي والإسلامي بل العالم كله ، قد جعلت أدب الطفل فى مقدمة ما تحرص على تقديمه له ، وذلك لما له من أثر فاعل فى نشأته نشأة صالحة سوية ، وهانحن أولاء نرى قمة هذه المؤسسات متمثلة فى إنشاء كليات رياض الأطفال التي تختص برعايتهم من حيث تخريج القادرين على رعاية هؤلاء الأطفال ، وتربيتهم وحسن اختيار ما يقدم لهم من أدب ومعارف .

بعض مشكلات أدب الأطفال :

وما أكثر المشكلات التي يواجهها أدب الأطفال اليوم ، فإحصائية بسيطة قديمة فى سنة ١٩٨٣ م تبين أن ما صدر من كتب للأطفال في أمريكا في هذا العام قد بلغ مائة ألف كتاب ، مقابل أربعة آلاف في عالمنا العربي ، وعدد أطفالهم لا يزيد كثيرا على عدد أطفالنا ،

ومرد ذلك ببساطة إلى قلة عدد الكتاب لدينا بالإضافة إلى قلة المتخصصين في هذا المجال ، لأن الكتابة لأدب الطفل لا تكفيها الموهبة كما أشرت ، بل لابد من المعرفة المتمثلة فى الاتصال بنتائج الدراسات فى العلوم الإنسانية المختلفة ، ولابد من الخبرة بهذه المرحلة العمرية التي على أساسها نبنى أجيالنا ورعاة أمتنا وأوطاننا فى المستقبل ، وهم يمثلون مايقرب من ٥٠% من عددنا ، بل إن جانبا مهما فى الكتابة لأدب الطفل يتمثل فى تقديم نتائج العلوم التجريبية والتكنولوجيا ، وهو ما يفتقده الكثيرون من هذه القلة التى تتصدى للكتابة فى أدب الطفل ، فهم متصلون بالعلوم الإنسانية النظرية ، دون العلوم التجريبية والتكنولوجية ، وهى القسمة التي يقوم عليها نظامنا التعليمي ، من ثم فلابد من الاتصال والتآزر بين الجانبين ، فغنى عن البيان مدى أهمية العلم والتكنولوجيا فى حياتنا ، وأهمية اتصال أطفالنا بذلك ، خلال نظرة إسلامية تدرك خير الإنسان وقيمته وكرامته ، وأن هذه العلوم والمعارف مسخرة له ليعمر هذا الكون ، ويحقق واجب الشكر والطاعة والعبادة لله تعالى .

من هنا فإن واجب الكتاب المسلمين فى أدب الأطفال خطير حيث يجب الربط بين الفكرة العقدية والفكرة العلمية وغيرها ، خلال الصياغة الأدبية المناسبة لتربية الطفل بهذا الأدب الإسلامي ، لتغذية فكره وإمتاع وجدانه وصقل سلوكه ، وتنمية مواهبه ، ومن ثم فإن لونا جديدا من القصص هو " قصص الخيال العلمى " جدير بأن نهتم به ، ونقدمه لأطفالنا ، لما فيه من وصل لهم بالمنجزات العلمية ، والتنبؤ بها ، عن طريق سعة خيالهم ، وإذكاء نظرتهم المستقبلية .

لذلك فما أقل ما يكتب محققا لأدب الطفل عمريا وفكريا وفنيا وتربويا بالإضافة إلى قلة العائد المادي ، مما لا يشجع على الكتابة والتأليف للأطفال وذلك نتيجة لقلة الإقبال على مثل هذا اللون من الكتب ، فمايزال الاهتمام بالكتاب غير المدرسي للطفل قليلا جدا فى أكثر بيئاتنا ، بل فى مدارسنا التى يجب أن تخصص حصة على الأقل أسبوعية للمكتبة ، وأن يكون للقراءة الحرة الموجهة فى المدرسة الابتدائية نصيب واضح فى

مناهجها وخططها ، وأن يقوم المنزل بتشجيع ذلك ، بل ويختار الكتاب الملائم للطفل .

ونتمنى أن تولى كثير من ***المؤسسات*** الاهتمام بذلك الجانب الخطير ، فترصد من المكافآت لكتاب أدب الطفل ما يشجعهم على ذلك ، كما نرجو من أهل الخير أن يولوا طبع هذا الإنتاج الاهتمام اللائق به .

وربما كان فيما يبذله قسم الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وما تبذله رابطة الأدب الإسلامي العالمية فى هذا المجال قدوة للخيرين الراغبين مؤسسات وأفرادا .

ويعد مشروع " القراءة للجميع " الذى تنشره وتتابعه مصر بين أطفالها ، مقترنا بنشر مكتبات الأطفال فى ربوعها ذو أثر فاعل متميز ، خاصة وأن هذا المشروع يحظى برعاية السيدة سوزان مبارك وتشجيعها الدائم له ، هذا بالإضافة إلى ما تصدره الهيئة المصرية العامة للكتاب فى مصر من كتب للأطفال ، وغيرها من المؤسسات الأهلية .

ولايمكن أن ننسى تعاون " اليونيسيف " مع كثير من الدول العربية فى مجال ثقافة الطفل والرقى بأدبه وحبذا لو ضاعف المسؤولون من هذا الاهتمام ، علّه يعوض أطفالنا بعض ما ينقصهم فى هذا المجال .

وإن ما تقيمه بعض المؤسسات من مسابقات فى أدب الطفل والكتابة له لجديرة بالتقدير" كمركز معلومات الأم والطفل فى البحرين " و " جمعية أم المؤمنين النسائية " فى دول الإمارات العربية المتحدة و " مركز ثقافة الطفل " بالقاهرة ، و " مركز الطفل بمكتبة الملك عبد العزيز بالرياض " و " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " ، وغيرها .

وبرغم أن فى الدول الغربية قد سيطر التوجه التجاري على كتب الأطفال مع اتساع النشر ، لكن القيمة الفكرية ، والفائدة التربوية ، والمتعة الفنية ، وغير ذلك مما تحققه كتب أدب الأطفال لم ينتقص ، بل بالعكس اتجه التوجه التجارى إلى تحقيق مزيد من جذب الأطفال لهذه الكتب ، خاصة فى طريقة إخراجها وطباعتها ، وتنوع مادتها ، ومواكبتها السريعة

للمتغيرات ، وتحقيقها للرؤية المستقبلية فكريـــا ، وكـــد نتمنى أن يستفيد ناشروا أدب الأطفال وصانعوه لدينا من ذلك ، بشرط ألا تتجاوز كتب أدب الأطفال لدينا ما يتفق مع عقائدنا وديننا ، وأعرافنا السوية .

قصص المغامرات :

وثمة قضية تتعلق بمـــدى ملاءمـــة المغـــامرات والعنف والجريمة والسحر للطفل عندما يقدمها له الأدب الخاص به ، وهنا نشير إلى أن مرحلة الطفولة المتأخرة هى أنسب مرحلة لذلك ، على شريطة أن يكون عـــرض هذا العنف والمغامرات والجريمة والسحر وسيلة لتنفـــير الطفل منها ، لا أن يُرغبه العمل الأدبي فيـــها ، وذلـــك عندما يدرك أضرارها ونتائجها فى إفساد حياته . ولـــو قدمنا مثل هذه الأمور لغير مرحلة الطفولة المتـــأخرة ، لأسهمت فى إثارة مخاوف الأطفال وقلقهم واضطرابـــهم ، مما يترتب عليه آثار سيئة لديهم ، لذلك يجب ألا نقـــدم فى أدب الطفل لمرحلتى الطفولة المبكرة ، والمتوسطة ، سلاسل الألغاز والقصص البوليسية التى تتضمن كثـــيرا من المغامرات والعنف والجرائـــم ، وواجـــب الآبـــاء

والأمهات والمربين وغيرهم من الكبـــار ، أن يتدخلـــوا برفق فلا يسمحوا لأطفال هاتين المرحلتيـــن بالاتصـــال بكتب الأدب ، أو غيرها ، التى تقوم على عرض هـــذه الموضوعات المثيرة .

وناهيك بفعل المصباح وعلاء الدين وأمثالها فـــي الأطفال ، عندما تسوغ لهم الكسل والبعد عن العمل فـي تحقيق الآمال ، اعتمادا على السحر وخروج الجني مـن القمقم ، وفى المقابل يجب أن تحبب الأعمـــال الأدبيـــة للأطفال العمـــل والجـد والاعتمـاد علـى النفـس ، والاستقلالية كلما أمكن ذلك ، خاصة فى نهاية مرحلـــة الطفولة المتوسطة ، وكذلك فى مرحلة الطفولة المتأخرة إذ تتضح رغبة الأطفال فى الاستقلال عـــن الأســرة ، وتقوى فيهم الرغبة فى الاتصال بالعالم الخارجي.

ومن ثم فلابد لأدب الأطفال أن يشبع فيـــهم هـــذه الرغبة ، وأن يلبى هذه الحاجة وأن يحســـن توجيهـــها بأعمال أدبية تحثهم على العمل والجد والاستقلال .

توظيف الجوانب العقدية والأخلاقية والعبادات:

وهذا باب واسع يمكن أن يتضمن العقائد والأخلاق الإسلامية والعبادات عندما يوظف صناع الأدب الإسلامي للأطفال هذه الأمور فى أدبهم بصورة ترغب الطفل فيها ، وتشبع لديه اهتماماته من هذه الناحية ، كأن يعرف نعم الله عليه ، وما ذا يجب عليه نحوها ، من اعتراف بفضل الله علينا ، ووجوب شكره على ذلك، وخصوصية توجيه وخلوصها العبادات له سبحانه وتعالى وحده ، وأثر الأخلاق الحسنة فى سعادة الناس ، وحسن معاملتهم بعضهم مع بعض ، ويمكن بتقديم النماذج المتقابلة للشخصيات : السوية الخيرة ، والفاسدة الشريرة ، خاصة عندما تمثل الأولى الشخصيات الإسلامية ، بذلك يمكن أن نحقق هذه الغايات ونرسخها فى نفس الطفل وعقله ، وللشيخ أبى الحسن الندوى فى كتابه ": قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " الذي نشرته له رابطة الأدب الإسلامي العالمية – تجربة طيبة نافعة إن شاء الله فى هذا المجال .

ولدينا ما هو أعظم مصدرا إنه القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول (ﷺ) وسيرته العطرة ، وتراثنا الإسلامي حافل بكثير من نماذج البطولات ، والقيم التى يعتبر أطفالنا فى أمس الحاجة إليها ، فقصص الأنبياء مثلا تتضمن كثيرا من صور البطولة فى الثبات على الحق ، والدفاع عن المظلومين ، ونصرة الضعفاء ، وهى قيم تستحوذ على عقل الطفل ووجدانه فى كل مراحل عمره ، إذ تشبع اهتماماته ، وكذلك للأستاذ عبد التواب يوسف تجارب فنية متعددة فى هذه المجالات فيما كتبه من قصص وتمثيليات وتوجيهات لأدب الطفل.

وليس معنى ما سبق أننا ننتظر حتى مرحلة الطفولة المتأخرة بالنسبة لاتصال الطفل بالعقائد والعبادات والأخلاق ، كلا ، بل يجب أن يكون ذلك منذ نشأته عندما يتيح له إدراكه منذ مناغاته فى العام الثاني من عمره الاتصال بهذه العقائد والعبادات والأخلاق، وتختلف طريقة اتصاله بهذه الأمور من مرحلة إلى أخرى حسب مستوى هذا الإدراك ، فيمكن أن تكون هدهداته ومناغاته وسيلة لإدراكه حفظ الله له ، ورعايته ، وهنا تشكل النغمة وما تردده الأمهات فى

هذا المجال من أناشيد وأغنيات خفيفة أثـرا عظيمـا لـدى الطفل ، حتى إذا ما أوشك على الدخول فى مرحلة الطفولـة المبكرة ؛ يرتقى إدراكه ، من ثم تصبح القصص والتمثيليات والأناشيد الملائمة لهذه المرحلة من أهم الوسائل فى وصـل الطفل بالمعتقدات والعبادات والأخلاق وغيرها ، وهكذا فـى بقية مراحله العمرية ، بل ربما كان ترديد قصار السـور القرآنية فى نهاية مرحلة الطفولة المبكرة وبدايـة مرحلـة الطفولة المتوسطة من بين عوامل وصل الطفـل بالعقـائد والعبادات والأخلاق .

وما أشد غناء تراثنا فى هذا المجال إذ أحسن توظيفه واستثماره فى أدب الطفل ، فهاهو ذا كتاب " كليلة ودمنـة " يقبل عليه من أدباء الغرب الكثيرون وفى مقدمتهم لافونتيـن وجريم ، إذ يعيدون صياغته بما يلائم الأطفال فى مراحلـهم المختلفة ، بل ربما كان اطلاع الشاعر أحمد شوقي علـى أعمال لافونتين،من العوامل التى دفعته إلى محاولة الاستفادة من كليلة ودمنة فيما قدمه من قصص شعري ومنظومات فى الجـزء الثالث من ديوانه ، حتى إن الأستاذ عبد التواب يوسف جمـع هذه الأعمال أخيرا فى كتاب واحد سـماه "ديـوان شـوقي للأطفال "،وقدم له مقدمة إضافية فى هذا المجـال، وقـد

أصدرته دار المعارف فى مصر ، وقس على ذلك ألف ليلة وليلة ، التى يمكن أن نجد فى صالح قصصها ما يوظفها فى هذا المجال ، وغير ذلك من كتب التراث .

ولقد تعددت ***الوسائط والوسائل التى يستعين بها أدب الطفل*** من إذاعة مرئية ومسموعة ، وكتب ، ومجلات وأشرطة الفيديو ، وأجهزة التسجيل ، وبرغم أهمية الكلمة مقترنة بالصورة ، مما يجعل للمجلات الخاصة بالأطفال وكتبهم أهمية خاصة ، لكن هاتين الوسيلتين بحاجة إلى مزيد عناية شكلا ومضمونا وإخراجا ، فالمجلات تتميز بالتجديد والحيوية، فقد تكون أسبوعية أو شهرية ، وعلى سبيل المثال قد تكون بعض الرسوم المضحكة ذات قيمة تربوية ، كأن تبغض للطفل السلوك الشائن ، لكن ما فيها من جانب هزلي يتطلب الحرص فى توجيهه حتى لا يخرج عن غايته التربوية ، فيخلف للطفل أثراً سيئا فيما يفكر أو يعتقد ، وحبذا لو أصبحت هذه الرسوم تبتغى بدقة وعناية هدفا ساميا ، وفكرا سويا يبنى الطفل ولا يهدمه .

ولذلك فإن ما تقدمه مجلات الأطفال من مواد بحاجة إلى أن تراعى المرحلة السنية ، والأهداف التى يمكن أن تستقر فى عقل الطفل ووجدانه ، فلا يقدم ما يخالف معتقداته كمسلم ، أو ما يخرج عن بيئة الطفل الصالحة ، ولا تصدمه بتصوير ما يخرج عما ألف من خير تواضع عليه المجتمع والأسرة ، وأن تزكى فيه الاعتماد على النفس والمواطنة الصالحة ، وتصله بالجديد من المعارف الذى يعده لمستقبل الحياة ومتغيراتها، وأن ترقى بذوقه ولغته .

وماتقدمه بعض مجلات الأطفال من مسابقات يجب أن يكون محكوما بهذه الخطوط العامة للمجلة والتى لاتخرج فى مجملها عن الشرع ومايأمر به .

وحبذا لو روعى فى تقديم هذه المادة مراحل الطفولة المختلفة ، حتى يكون فى المجلة قسم لمرحلة الطفولة المبكرة ، وثان لمرحلة الطفولة المتوسطة ، وثالث للمرحلة المتأخرة ، وهكذا تشبع كل الأعمار تقريبا ، وتلبى احتياجاتها .

كما نتمنى أن يكون إخراجها الفنى محققا لكثير من المواصفات كعدم التعقيد،والتناسق بين الألوان،ووضوح الصور، وتناسب مكوناتها وكميتها .

أما كتب الأطفال فحبذا لو روعى فيها ما سبق أيضا ، بجانب أن تتميز مثلا كتب مرحلة الطفولة المبكرة بغلاف مقوى أو من الجلد ، حتى يتحمل استخدام ولعب طفل فى هذه المرحلة ، كما يجب أن تكثر فيه الصور ، وتقل كمية الكلمات التى سوف يقرأها ، وبصفة عامة يجب اقتران الكلمة بالصورة فى مختلف المراحل ، وفى تناسب عكسى ، بمعنى كلما كبر الطفل تزداد الكلمات وتقل الصور .

وإذا كانت وسائل الإعلام مشتركة بين الكبار والصغار ، فحبذا التنسيق ليقدم لكل منهما ما يعنيه ، وفى الوقت الذى يناسبه ، وبالمستوى الذى يلائمه ، وهنا نؤكد على واجب الأسرة فى تنظيم الوقت للأطفال ، بحيث لايتجاوزون البرامج المخصصة لهم ، والوقت الذى يمكن أن يستفيدوا فيه من هذه الوسائل ، ومما

يعين على ذلك الإعلان فى الصحف ومجلات الإذاعة عن هذه البرامج وأوقاتها للكبار والصغار .

وكم أتمنى من صناع أدب الطفل أن يتهيئوا التهيؤ المناسب دينيا وفكريا ونفسيا وعلميا ، وأن يتصلوا بتجارب الآخرين فى هذا المجال محليا وعالميا ، وأن يوثقوا اتصالهم بعالم الطفل وبيئته ، ليدركوا ما يهمه ، وما يمكن أن يشبع هذه الاهتمامات ، ولقد كان الشاعر أحمد شوقى ، يقرأ على الأطفال ما يكتبه لهم قبل نشره ، ليلمس أثره فيهم واستعدادهم لتقبله ، والتجربة نفسها يقوم بها بعض كتاب أدب الطفل اليوم ، المهم أن نعمل على تثبيت قيم الإسلام ، وأن نحببهم فى دينهم ولغتهم وأمتهم وأوطانهم ، وأن نساعدهم على مواجهة حياتهم بطريقة سوية تجنبهم التعقيد والمشكلات النفسية ، حتى يسهموا فى بناء أوطانهم والدفاع عن أمتهم عندما تحين ساعة تصديهم لمسؤوليات الأمة وقضايا الوطن .

بعض المراجع والمصادر :

1- Margrit R. Marshall an Introduction to the world at Childern . Book 2nd Edition P .60 61

2- انظر د. حسن شحاته : قراءات الأطفال الدار المصرية اللبنانية ص 65 ومابعدها.

3- انظر د. سعد أبو الرضا النص الأدبي للأطفال ط. رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة 1414هـ / سنة 1993 ص31.

4- السابق نفسه ص 33.

5- انظر د. هادى نعمان الهيتى : أدب الأطفال فلسفته وفنونه ووسائطه سنة 1986م الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 115 ، ص133.

6- انظر النص الأدبى للأطفال ص 38 .

7- انظر د. على الحديدى : أدب الأطفال مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة سنة 1976 ص 81 ، وكذلك انظر د. محمد عماد إسماعيل : الأطفال مرآة المجتمع ، سلسة عالم المعرفة الكويت سنة 1986ص 111 ، وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال ص 29

8- انظر أدب الأطفال فلسفته وفنونه ووسائطه ص 115.

9- الطفل وعالمه الأدبى : د. عبد الـــرءوف أبـــو الـ ـعد ط1 دار المعارف القاهرة سنة 1994م.

10- علم نفس النمو : د. حامد زهران نشـــر عـــالم الكتب القاهرة ط6 سنة 1986م.

11- القاضى جحا : المسرح الشعرى للأطفال :أحمـــد سويلم مؤسسة الخليج العربى القاهرة سنة 1407 هـــ / 1987م.

12- مسرحيات الأدب العالمى للأطفال " الفطائر الخمس" ، " الرنين والدخان " : أحمد المغربى وعصام إبراهيم دار الفكـــر العربى القاهرة سنة 1991م.

13- مسرح الطفل : " حكاية لم تنته بعد " ، " حـــرب لا تنتهى " حازم شحاته منشورات الغالى المكتب للمعارف القـــاهرة سنة 1991م . علما بأن هذه المسرحيات بحاجة إلى إعادة النظر فى تشكيلها لتقويمها

14- النص الأدبي للأطفال أهدافه ، ومصادره ، وسـماته : د. سعد أبو الرضا نشر رابطة الأدب الإسلامي العالمية ط. دار البشير عمان الأردن سنة 1993 م.

15- النقد الأدبي الحديث :د. محمد غنيمـــى هـــلال دار نهضة مصر القاهرة ب. ت.

16- النمو الإنساني : د. محمود عطية حسين عقـــل دار الخريجى الرياض سنة 1996م .

أثر التربية الإسلامية في الطفل وأدبه

*حقاً إن التربية الإسلامية في صدر الإسلام جديرة بالفخر والاعتزاز ، لأنها راعت كثيراً من الشروط والملابسات التي حققت لها الفاعلية في تنشئة الطفل نشأة قويمة صحيحة ، ورعايته حتى يتجاوز هذه المرحلة بسلام ، ليدخل في مرحلة أخرى ، وهكذا ، فقد كفل الإسلام لكل مرحلة في حياة الإنسان ما يحقق لها فاعليتها .

من هذه *الظروف والملابسات لمرحلة الطفولة* ، اهتمام الإسلام بالطفل قبل ولادته ، فقد حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيق الكفاءة بين الزوجين لينشأ الطفل في بيئة منسجمة تحقق له النمو السوي ، بل أكثر من ذلك ؛ فقد أوصى الرسول (ﷺ) بحسن اختيار الزوجة ، فهو القائل : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " ، كما أوصى باختيار ذات الخلق القويم.

فإذا ماولد الطفل سن له الإسلام من الأصول والأسس ما يضمن له سلامة النشأة جسميا وعقليا ونفسيا وروحيا ، مثل جعله الرضاعة لمدة عامين ، لينشأ قوى الجسم ، كما علمنا الرسول (ﷺ) كيف نثرى الطفل وجدانيا ؛ فهو قد يصلى حاملا أحد سبطيه ، فإذا سجد وضعه ، وإذا قام حمله كما كان ، حتى لا يضايق الصغير ، أو يحرمه من حنانه عليه ، وبره به ، ، وفى الوقت نفسه قد يكون فى ذلك إيلاف الصغير لهذه الشعيرة ، وإن لم يتعقلها ، أو يدرك أركانها ، بل إنه قد لام رجلا يزعم أنه له عشرة من الولد ، ولم يقبل أحدهم أبدا.

وفى أركان الإسلام نجده (ﷺ) يحرص على التدرج في تعويد الطفل الصلاة فيقول : " مروهم بها لسبع ، واضربوهم عليها لعشر " .

بمثل هذا السلوك السوي ، وتلك السنن الرشيدة ***استطاع السلف الصالح تحقيق تربية سوية قويمة*** ، تبنى الطفل ، لكن كثيرا من هذه السنن غابت عن كثير

من الآباء والأمهات أو غُيِّبت ، إما لأنهم لم يهتموا بـها ، أو أن وعيهم قد قصر عن استيعابها ، أو أن نمط حياتنـا نفسها قد ابتعد عن ذلك ، فلا وسائل الإعلام قد حرصـت على نشر تلك الأسس والمفهومات ، ولا كتب التربية قـد تضمنت ذلك ، ولا توجيهات الموجهين ونصائح المربيـن قد أشارت إليه ، اللهم إلا القليل ، بالإضافة إلى أن النمـط الغربي في هذا المجال قد مكنت له الفضائيات ببرامجـها الكثيرة المتنوعة تمكينا قويا ، بوسائل لاحصر لها ، لذلـك يجب أن نعيد النظر فى نظـام تربيتنا لأطفالنا ، وما يقدم لهم من علوم ومعارف ونصوص أدبية ، على أن يكـون فى مقدمة ذلك ارتباطهم بكتاب الله العزيز.

* *أما كيف نعود أطفالنا التعلق بالقرآن الكريم بصفـة خاصة وحب القراءة منذ الصغر بصفة عامة* ، فإن أول ما ينبغي في هذا المجال أن توجد بكـل مـنزل مكتبـة متواضعة ، وتصبح نسخ القرآن الكريم على رأس هـذه المكتبة ، بذلك تصير القراءة فى كل بيت كالطعام لكـل من فيه ، قبل أن يكون لها فى المدرسة وقتها الخـاص بها في جميع مراحل التعليم ، وما أعظـم مشـروعات

نشر القراءة ومسابقاتها فى عالمنا العربي التي تـــؤازر بها مؤسسات المجتمع المدنية جهود البيت والمدرسة في هذا المجال . وحبذا لو أصبح القرآن الكريم عماد هـــذه القراءة ، فيردد الصغار بعض مفرداته ، كمـــا تصبـــح قصار السور مادة لهم يحفظونها ، وكم نتمنى أن تصبح أشرطة القرآن الكريم بأصوات المشهورين من القـــراء في عالمنا العربي هي ما يقدم لهؤلاء الأطفال الصغار ، فيستمعون إليها في المنزل والمدرسة والمسجد والإذاعة مرئية و مسموعة فى السيارة والطريق ، وفى بعـــض أوقات فراغهم . وأن يرصد من الجوائز والمكافآت مـــن المسابقات المختلفة في مجال حفظ القرآن الكريم وتلاوته خاصة ، والقراءة بصفة عامة ما يشجع أطفالنا وأبناءنـــا للإقبال على ذلك ، والتنافس فيه .

وهنا نؤكد على أهمية المكتبات فـــي المـــدارس والأحياء المختلفة . ، وإثرائها بمختلف أنـــواع الكتـــب التي تنهض بالطفل معرفيا وثقافيا وأدبيا وعلميا ، مـــن ثم تتجلى هنا أهمية العناية بكتب الأطفال وتنوعها مـــادة ، وصورة ، وأوراقا وغلافا وطريقة وحجمـــا وثمنـــا ،

تصبح ميسورة للأطفال وذويهم ، وألا يعرض في سوق النشر إلا الكتاب الملائم ، القادر على تحقيق ما يناط به بالنسبة للطفل في المرحلة السنية المحددة له .

*ولقد أصبحت الفضائيات اليوم تنافس الكتاب المقروء ، خاصة الكتاب الإلكتروني ، بالإضافة إلى المسلسلات التي تصوغ فكر الطفل ووجدانه ، كما توجه سلوكه ، خاصة أن كثيرا من هذه البرامج التي تبث عن طريق الفضائيات أجنبية ، وقد وجدت لبيئة غير بيئاتنا ، وأطفال غير أطفالنا ، وعادات وتقاليد غير ما اعتدناه ، ونظرا لرخص أسعارها بالنسبة للمحلى لدينا ، فقد تضاعف الإقبال عليها دون النظر إلى مدى ملاءمتها لأطفالنا وبيئاتنا ، والأهم من كل ذلك تجاوزها لما يجب أن يراعى فيما يقدم لأطفالنا عقديا وفكريا ، فإذا كنا حريصين على بناء أطفالنا بناء سويا فيجب أن نعيد النظر فيما يقدم لهم عن طريق هذه الفضائيات حتى نختار – بأي وسيلة – ما يمكن أن يناسبهم ، وأن تكون هناك أوقات خاصة بالأطفال ، حتى تؤدى الأسرة رسالتها المنوطة بها في تربية الطفل وتنشئته وتوجيهه

الوجهة السليمة الصحيحة ، لا أن نتركه نهبا لهذه الفضائيات وبرامجها الهدامة ، فللأسرة دورها ورسالتها ، وللمدرسة دورها ورسالتها ، وللبرامج المرئية والمسموعة ، وقتها وأهدافها تعليما وترفيها وتوجيها .

*وربما كان إهمال ما سبق من أهم ***أسباب عدم تكيف أطفالنا مع الحياة*** ومتغيراتها من حولهم ، ذلك أن التقدم المعرفي والتكنولوجي الذي يتصلون به ، وتموج به الحياة من حولهم في المنزل والمدرسة والشارع ، قد جعل الطفل اليوم أكثر معرفة وربما أكثر ذكاء من طفل الأمس ، لكنه يجد صعوبة في مواجهة الحياة بمتغيراتها ، وذلك للهوة السحيقة بين ما يقدم إليه من برامج وكتب ومعارف ، وما يجب أن تكون عليه هذه البرامج وتلك الكتب والمعارف من رعاية لبيئة الطفل العربي المسلم وربطه بماضيه ربطاً يجعله يتلاءم في يسر وسهولة مع حاضره ، دون أن يفقد جذوره ، أو يبتعد عما يدور حوله ، وما يقع من متغيرات فى الحياة وذلك ما يجب أن يوضع فى الاعتبار ونحن نعد

لأطفالنا الكتب أو البرامج ، أو المسلسلات أو نختارها لهم .

ولا أتصور اليوم أن يوجد أديب قادر على الكتابة للأطفال ويتوانى عن أداء هذه المهمة الإنسانية ، بعد أن تجلت أهمية رعاية الطفل وتنشئته النشأة الصالحة التي يسهم فيها البيت والمدرسة ، والمجتمع بمؤسساته المدنية والحكومية ، خاصة وقد أصبح لكتب الطفل والكتابة لهم تلك المنزلة والأهمية فى كل أرجاء العالم ، بل لقد أصبحت دور النشر ومؤسساته على مستوى العالم تتبارى فى ذلك ، من ثم فالمسهم الآن أن يوجد الكاتب المؤهل القادر ، فأولئك قلة فعلاً ، نظراً لأن تأهيل كاتب للأطفال يتطلب الخبرة والمعرفة الإنسانية فى كثير من المجالات التى منها: علوم الدين ، واللغة والعلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع ، وعلم الجمال ، وأن يحيط الكاتب بحياة الأطفال أنفسهم الذين يكتب لهم، كما يتصل بالعلوم العملية التي يمكن أن تعينه على كتابة أدب الخيال العلمي ، بل يكون قادرا على الاتصال بما

بصدر للأطفال على مستوى العالم .. مثل هذا الكـــاتب هو ما نحتاج إليه .

وفى الوقت نفسه فإن العائد المادي لكـــاتب أدب الأطفال يجب أن يضمن له حياة حرة كريمـــة ، تعينـــه على أداء المهمة التي هيأ نفسه لها ، وأن تولى الـــدول ومؤسساتها المعنية ، والناشرون هذه الناحيـــة اهتمامـــا خاصا يليق بهذا العمل الإنساني العظيم ، وهو الإســـهام في تنشئة الطفل الصالح القويم ابن اليوم ورجل الغد .

ولكي يعيش أطفال اليوم حياتهم بصورة ســـوية لابد أن يقدم لهم من الأدب والعلوم والمعارف ما يشـكل ثقافتهم الخاصة ، التي تعينهم على التلاؤم السوي مـــع الحياة ، ومواجهة متغيراتها ، وتنمية وعيهم ، وإثـــراء ثقافتهم بما يكفل لهم حياة سوية صالحة ، من ثم يراعـى فيما يقدم لهم اتصاله ببيئتـــهم ، وإشـــباعه لحاجاتـــهم ، وتحقيقه لطموحاتهم ، وإسهامه في حل مشاكلهم، وقبـــل كل ذلك وصلهم الوثيق بأمور دينهم وعقيدتهم .

ومن هنا فدور شركات الإنتاج الفني ومؤسسات النشر المختلفة خطير لأنها مسؤولة عن إخراج البرامج التي تناسب المراحل المختلفة للطفولة ، كما تقدم المسلسلات الملائمة لذلك ، بالإضافة إلى نشر الكتاب المناسب للطفل حسب المرحلة السنية ، من حيث القيم والمبادئ ومستوى المعلومات التى يتضمنها والكيفية التى تقدم بها مختلف المعارف والعلوم والآداب والنصوص الأدبية شعرا وقصة ومسرحية .

ولا شك أننا إذا استطعنا أن نوفر للطفل البرنامج المناسب والمسلسل الملائم ، والكتاب النافع المفيد له ، والرسوم المتحركة المناسبة حسبما أشرنا سابقا ، فإننا بذلك نستطيع أن نحصن الطفل العربي المسلم ضد مايتهدده من غزو فكرى وتجاوز عقائدي ، وتشويه أخلاقي .

الفهرس

مقدمة ٥

الفصل الأول :

أدب الأطفال التنموي ٨

مدخل ٩

*** القسم الأول : التنظير** : ١٤

المفهوم ومشروع الأمة ١٤

أهم المحاور والقضايا ٢٠

أولا : الصحوة الإسلامية ٢١

التوازن بين التراث والمعاصرة ٢٦

ثانيا : العناية بالعلم والتكنولوجيا ٢٩

الثقافة التنموية والقيم الجديدة ٣١

أفلام الكرتون والصور المتحركة ٣٥

هوامش القسم الأول ٣٧

*** القسم الثاني : تحليل لنماذج من أدب الأطفال التنموي** ٣٩

ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة " قصص من تاريخ الإسلامي للأطفال " لأبي الحسن الندوى ٤٠

مدخل ٤٠

العوامل المؤثرة ٤١

ملامح التوجيه: الضمائر والعلاقات ٤٣

التصوير ٤٤

التناص (الاقتراض) وحكاية الحدث ٤٦

التوجيه والحس الخطابي ٤٨

المقدمة التفسيرية السردية ٥٠

أثر الاستفهام في تشكيل الحدث ٥٢

محورية الفعل الماضى : كان ٥٦

بعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي ٥٨

أثر رقى الحياة وتقدمها الفكري والتكنولوجي في بعض قصص الأطفال ٦٠

عرض وتحليل للمجموعة القصصية : ذكاء الصحابة .. ٦٤
تحليل لنموذج قصصي يوظف العلم والتكنولوجيا :
" قصة العقل المفقود "..... ٧٣
مسرحية "النهر" لسليمان العيسى ووسائل تحقيقها لبعض
قيم أدب الأطفال التنموي ٨٠
الخاتمة ٩٦
هوامش القسم الثاني ٩٨

الفصل الثاني
الخيال في أدب الأطفال
" الصور المجازية "

مفهوم الخيال وأنواعه ١٠٢
توظيف الخيال الأدبي ١٠٧
أنواع الخيال في أدب الأطفال ١١٢
الصور المجازية ١١٣
تحليل لنموذج قصصي لكشف أثر الخيال فيه وتأثيره
في الطفل قصة " البخل وباء " من مجموعة " أسرار
وأخبار البخلاء ١١٦
العلاقات والمرحلة السنية ١١٨
المكان – الزمان ١١٨
الشخصيات ١١٩
الحدث ١١٩
العقدة والحل النهاية ١٢٠
اللغة ١٢٠
المستوى الخيالي التصويري وأثره في الطفل ١٢٢
تحليل لنص شعري لكشف أثر الخيال فيه وبيان مدى
تحقيقه للأهداف المنوطة به ١٢٥
المرحلة السنية الملائمة..... ١٢٦

الألفاظ والمستوى التركيبي.....١٢٧
المستوى التصويري.....١٢٩
المستوى الإيقاعي.....١٣٠
ملاحظات على النص.....١٣١
هوامش الفصل الثالث.....١٣٢

الفصل الثالث
التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي " المسرحية رؤية مستقبلية "

فاتحة..... ١٣٨
من مظاهر التقدم التكنولوجي..... ١٣٩
المشكلة في ضوء النمو المعرفي عند الطفل..... ١٤٢
تحقيق مسرحية الطفل للأهداف المنوطة بها..... ١٥٢
علاقة الخيال بالفن والواقع..... ١٥٤
البعد العقدي.....١٦٤
نموذج تحليلي في ضوء ما سبق مسرحية " زيارة من
الفضاء..... ١٦٦
العلاقات والشخصيات..... ١٦٦
الحدث..... ١٦٩
العقدة..... ١٧٠
الصراع.....١٧١
كشف البناء الدرامي أهداف المسرحية ١٧٤
اللغة.....١٧٦
المستوى التركيبي.....١٧٨
المستوى التصويري.....١٨١
تقويم.....١٨٥
الطباعة ومستوى الإخراج الفني.....١٨٧
أهم المصادر والمراجع.....١٩٠

الفصل الرابع
أثر الدارسات النفسية للطفل
فيما يقدم له من أدب

أدب الأطفال عالم كبير، اختلاف أدب الأطفال عن أدب الكبار..... ١٩٥
الاستفادة من نتائج الدراسات النفسية للأطفال.....١٩٧
نموذج تحليلي لقصة : شهادة براءة يوسف علية السلام...١٩٧
طبيعة الكتابة في أدب الأطفال.....٢٠٠
أثر الرسوم والصور والألوان في أدب الأطفال.....٢٠٢
هل يتضمن تراثنا نماذج لأدب الأطفال.....٢٠٤
بعض مشكلات أدب الأطفال.....٢٠٥
من المؤسسات التي تهتم بأدب الأطفال.....٢٠٨
قصص المغامرات.....٢١٠
توظيف الجوانب العقدية و الأخلاقية والعبادات.....٢١٢
الوسائط والوسائل التي يستعين بها أدب الطفل.....٢١٥
مجلات الأطفال.....٢١٦
كتب الأطفال.....٢١٧
وسائل الإعلام ٢١٧
بعض المراجع والمصادر لما سبق في هذا الفصل.....٢١٩
أثر التربية الإسلامية في الطفل وأدبة.....٢٢١
كيف نعود أطفالنا التعلق بالقرآن الكريم ، وحب القرآة.....٢٢٣
أسباب عدم تكيف أطفالنا مع الحياة ٢٢٥
فهرس الموضوعات ٢٣٠

كتب أخرى للمؤلف

١. الكلمة والبناء الدرامي – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٨١ ط٢ ٢٠٠٠م.

٢. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي – مكتبة المعارف – الرياض سنه ١٩٨١م.

٣. الأدب الإسلامي قضية وبناء– مكتبة عالم المعرفة–جدة سنه ١٩٨٣م.

٤. البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية – مطبعة الطوبجى – القاهرة سنه ١٩٨٣م.

٥. في الأصالة وبناء المسلم – مكتبة العلقى الحديثة – بريدة سنه ١٩٨٥ م.

٦. في البنية والدلالة منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٨٧م.

٧. في الدراما .. اللغة والوظيفة – منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٨٨ م

٨. معالجة النص في كتاب الموازنات التراثية – منشأة المعارف الاسكندرية سنه ١٩٨٩ م.

٩. قراءة في ديوان الشعر السعودي – مكتبة الرضا – القاهرة سنة ١٩٨٥م.

١٠. النسبة الفنية والعلاقات التاريخية – دراسة في الأدب المقارن – منشأة المعارف الإسكندرية سنه ١٩٩٠ م.

١١. ألبر جي دي موبسان في القصة المصرية القصيرة مكتبة الرضا سنة ١٩٩٠ م القاهرة.

١٢. النص الأدبي للأطفال رؤية إسلامية ط١. رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنه ١٩٩٣م ، ط٢ مكتبة العبيكان الرياض ٢٠٠٥م.

١٣. في جماليات الأدب الإسلامي – المجموعة المتحدة للطباعة سنة ١٩٩٦م.

١٤. التعبير الدرامي دراسة نصية الطبعة الثالثة المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥. التراث والمتغيرات – البلاغة العربية نموذجا المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

١٦. أدب الأطفال التنموي إصدار نادى القصيم الأدبي١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م.

١٧. الأدب الإسلامي بين الشكل والمضمون – ملامح إسلامية في الشعر و القصة والمسرحية - المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م

١٨. في السرد نظرة تاريخية وقراءة لنماذج مختارة المجموعة المتحدة للطباعة – القاهرة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م .

١٩. اتجاهات حديثة في أدب الأطفال ٢٠٠٢م مطبعة هاجر ببنها .

٢٠. النقد الأدبي الحديث: أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م القاهرة .

٢١. المقالة الإصلاحية في أدب الشيخ محمود شاكر ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة .

٢٢. الحياة تتجدد: مجموعة قصصية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة .

رقم الإيداع	٢٠٠٦/٢١٩٨٤١
الترقيم الدولى	٩٧٧/١٧/٤٠١٩/٩

دار المصطفى للطباعة

بنها الجديدة – ١٢ ش الخطيب

ت: ٠١٣/٣٢٣٨٣٦٠